

جامعة مولود معمري تيزي وزو - قطب تامدة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

فرع التاريخ



دراسة حول شخصية ثقافية و دينية من المغرب القديم
"أوغسطين أنموذج"

مذكرة تتدرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ و حضارات المغرب القديم

تحت إشراف الدكتورة :

سي الهادي ذهبية

من إعداد :

• مشرف وداد

أعضاء لجنة المناقشة

| الأستاذ(ة) | الصفة | مؤسسة الانتساب |
|--------------------|--------------|----------------------------|
| د. زغيب حسينة | رئيس الجلسة | جامعة مولود معمري تيزي وزو |
| د. سي الهادي ذهبية | مشرفا ومقررا | جامعة مولود معمري تيزي وزو |
| د. بلعيد مراد | عضوا مناقشا | جامعة مولود معمري تيزي وزو |

السنة الجامعية : 2024-2025

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات

وبعد رحلة علمية ممتدة، شغفني فيها الفكر الإنساني والديني، يسعدني أن أتقدّم بخالص عبارات الشكر والعرفان لكل من كان له أثر في إنجاز هذه المذكرة، التي تناولت شخصية من أعظم رموز التاريخ المسيحي والفلسفي: القديس أوغسطين ، ذلك العقل الذي وحّد بين الإيمان والفكر، بين التجربة الشخصية والتأمل اللاهوتي

أتوجّه بجزيل الشكر والامتنان إلى مشرفتي الفاضلة الأستاذة "ذهبية سي الهادي" على ما قدمته من توجيه علمي، وصبر، وتحفيز مستمر، فلها مني كل التقدير والاحترام

كما أشكر الاساتذة اعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة و تقييم هذا العمل

كما أشكر أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة مولود معمري - تيزي وزو ، الذين كانوا شعلة معرفة أنارت لي طريق البحث العلمي، وساهموا في تكوين رؤيتي التاريخية والنقدية.

الإهداء

إلى من غرسوا في قلبي حبّ العلم والمعرفة

إلى من كانت دعواتهم سرّاً تقدّمي ونجاحي

إلى والديّ العزيزين، شكراً على صبركما ودعمكما اللامحدود، وعلى ما منحتماني من حُبّ

وثقة لا تنضب

إلى إخوتي وأخواتي الأعزّاء، أنتم النور الذي رافقني في كل خطوة، والسند الذي أستند إليه

في أوقات التعب والفرح.

إلى أصدقائي الأعزّاء، رفاق الدرب الذين شاركوني لحظات الجدّ والتحديات، وكانوا دوماً

عوناً لي في هذه الرحلة.

إلى كلّ من وقف إلى جانبي بكلمة، أو ابتسامة، أو لحظة صمت في وقت الحاجة

أهدي هذه المذكرة المتواضعة

تقديرًا وامتنانًا لكلّ من ساهم في تشكيل هذه المرحلة من حياتي العلميّة والإنسانيّة

المقدمة

تعتبر دراسة الشخصيات التاريخية الكبرى خطوة مهمة لفهم التحولات و التطورات التي عرفتها الانسانية في مجال الفكر والدين والمجتمع، منها شخصية القديس أوغسطين التي مثلت نموذجًا بارزًا للتفاعل العميق بين البيئة المحلية في شمال إفريقيا والتحويلات الفكرية التي أثرت على الفكر المسيحي والغربي بعد ذلك .

وُلد القديس أوغسطين في 13 نوفمبر سنة 354م بمدينة طاغست (سوق أهراس حاليًا) في شمال إفريقيا، وهي منطقة كانت تتأثر آنذاك بالثقافتين الرومانية والنوميديّة و نشأ في أسرة يختلف فيها الدين؛ فوالده باتركيوس كان وثنيًا واعتنق المسيحية قبل وفاته، أما والدته مونيكا فكانت مسيحية مؤمنة أثرت كثيرًا في حياته الروحية و تلقى أوغسطين تعليمه في طاغست ثم في ماداوروش وقرطاج، حيث برع في البلاغة والأدب واطّلع على الفكر الكلاسيكي لكن شبابه تميز ببعض الانحرافات التي اعترف بها لاحقًا في كتابه الاعترافات، إذ عاش حياة لهُو وأنجب ابنًا غير شرعي اسمه أدوداتوس. وفي التاسعة عشرة من عمره، انضم إلى المانوية متأثرًا بأفكارها حول الخير والشر، وبقي فيها نحو تسع سنوات، بينما كانت والدته مونيكا تواصل نصحه والدعاء له بإيمان قوي، مما مهد لتحوّله الروحي في ما بعد .

يتمثل أهمية هذا العمل في تحليله العميق لشخصية القديس أوغسطين، التي نشأت في بيئة إفريقية رومانية معقدة وأسهمت في تكوين الفكر المسيحي الغربي. تكمن قيمته العلمية في تتبع مسيرة تطور فكر أوغسطين عبر أسفاره من طاغست إلى قرطاج، ثم إلى

روما وميلانو وهيبو، وربط هذه المراحل بنضجه اللاهوتي والفلسفي والنفسي كما يسلط البحث الضوء على أدواره المتعددة فهو مفكر تأثر بالمانوية والأفلاطونية المحدثة، ولاهوتي أسهم في ترسيخ العقيدة المسيحية، وأسقف واجه أهم القضايا العقائدية في زمانه مثل الدوناتية والمانوية والبيلاجيانية.

يعود اختيار موضوع دراسة شخصية القديس أوغسطين إلى جملة من الاسباب ، يأتي في مقدمتها اهتمامي باكتشاف هذه الشخصية التي تعرفنا عليها اثناء تكويني الجامعي ، الأهمية التاريخية والفكرية التي تمثلها هذه الشخصية التي اصبحت من رموز المسيحية ، خصوصاً أن أوغسطين ينتمي إلى بيئة إفريقية، ما يضفي على البحث في سيرته وحياته أهمية خاصة تتعلق بالهوية و الاهتمام بالتاريخ الوطني ، كما أن غنى تجربته الفكرية وتنوع مراحل حياته ، من الانتماء للمانوية إلى اعتناق المسيحية، ثم تفرغه للكتابة اللاهوتية والفلسفية ، يوفّران مادة علمية ثرية قابلة للتحليل والتأويل.

إضافة إلى ذلك، فإن قلة الدراسات العربية المتخصصة التي تناولت أوغسطين من زاوية تاريخية شاملة تضع هذا البحث في إطار سدّ ثغرة معرفية، وإبراز مساهمة فكر شمال إفريقيا في التأسيس للفكر الديني الغربي ،وعليه، فإن هذا الموضوع يجمع بين العمق التاريخي، والثراء الفكري، وأصالة المرجعية الثقافية.

لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، كان من الضروري طرح جملة من التساؤلات الإشكالية التي من شأنها توجيه البحث وتحديد محاوره الأساسية، وعلى رأسها: ما موقع شخصية القديس أوغسطين في تاريخ المسيحية؟

قد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي متعدد المقاربات، يجمع بين البعد التاريخي والتحليل النصي والسردى، إذ يستند إلى دراسة السياقات التاريخية التي نشأ فيها أوغسطين، وتحليل تطوّر أفكاره من خلال قراءة نقدية لأبرز مؤلفاته، خاصة "الاعترافات" و"مدينة الله"، كما تمّ توظيف أدوات البحث التاريخي، إلى جانب المنهج السردى لتتبع التحوّلات الشخصية والفكرية التي عرفها، وذلك من أجل تقديم رؤية شاملة لمسيرته الروحية والفكرية.

اعتمدت علي خطة تتكون من مدخل و ثلاثة فصول ، تناول المدخل أوضاع بلاد المغرب القديم من الجانب الاجتماعي و الديني ,يتناول الفصل الأول المعنون بـ" تعريف بأوغسطين " , يبرز الجوانب التكوينية لشخصيته، من خلال ثلاثة مباحث رئيسية: يتناول الأول ظروف نشأته العائلية والاجتماعية، بينما يركّز الثاني على مساره التعليمي والتكويني، ويخصص الثالث لأبرز المحطات التي ميّزت حياته قبل تحوّل الدين ،أما الفصل الثاني، وعنوانه " أوغسطين والمسيحية" ، فيعنى بتتبع التحوّل الديني الذي عرفه، من خلال ثلاث مباحث أساسية: اعتناقه للمسيحية، وتأثره بعدد من الشخصيات المحورية مثل والدته مونيكا والأسقف أمبروسوس، إضافة إلى دوره في الكنيسة كأسقف لهيبّ، ويُنصّب الفصل الثالث، بعنوان " الأعمال والإنجازات الفكرية والدينية لأوغسطين" ، لتحليل

إنتاجه الفكري، من خلال عرض أهم مؤلفاته، وتتبع أصداء هذه الأعمال في الفكر المسيحي، ثم تقييم مكانته ضمن مسار تطور اللاهوت والعقيدة في الغرب المسيحي.

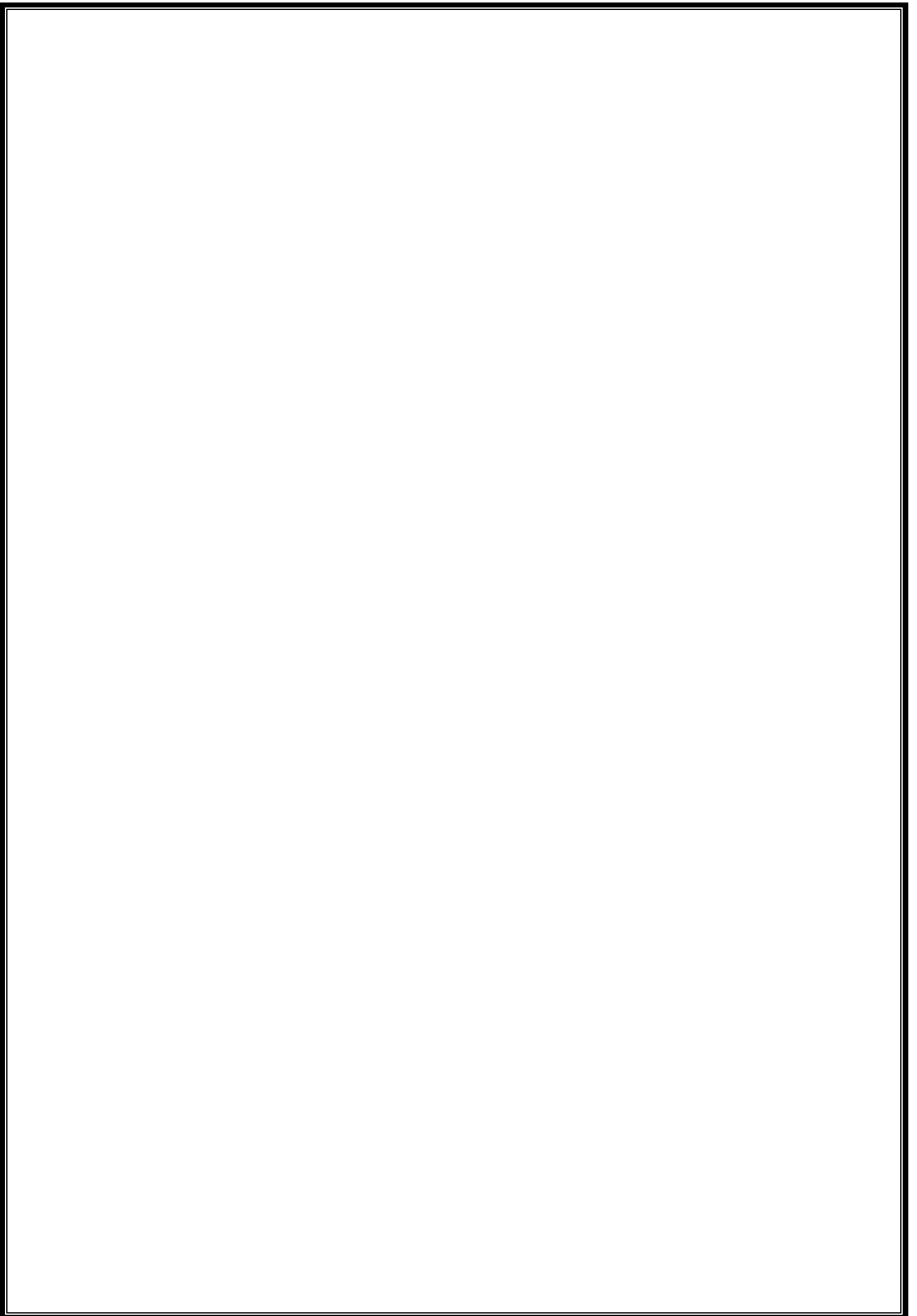
أما بخصوص المصادر والمراجع، فقد تم الاستناد في هذه المذكرة إلى مجموعة من المصادر الأصلية، تمثلت أساساً في أعمال القديس أوغسطين المكتوبة أصلاً باللاتينية، والتي توفرت في ترجمات عربية وفرنسية موثوقة، مثل الاعترافات، مدينة الله، تعاليم المبتدئين، وغيرها، إلى جانب نصوص دينية أساسية كالعهد الجديد، وكذلك سيرته كما دوّنها معاصروه مثل بوسيديوس.

كما تم دعم الدراسة بـ مراجع علمية ثانوية حديثة شملت دراسات أكاديمية معاصرة بلغات مختلفة العربية، والفرنسية، والإنجليزية، لعل أبرزها أعمال Serge Lancel في عمله بعنوان Saint Augustin, Alice , Peter Brown, "القديس أوغسطين" وأعمال أخرى نذكر منها Alice , Peter Brown, Forbes, بالإضافة إلى أبحاث منشورة في مجلات محكمة، وأطروحات جامعية جزائرية , مثل أطروحة دكتورة زموري خديجة التي كانت بعنوان " القديس اغوسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي " حيث ساهمت هذه المذكرة في توضيح السياق الاجتماعي والسياسي والديني الذي نشأ فيه القديس أوغسطين، لا سيما في مدينتي طاغست وهييو، هذا التنوع اللغوي والمنهجي في اختيار المصادر والمراجع أتاح بناء صورة شاملة ودقيقة عن شخصية أوغسطين، وتاريخ شمال إفريقيا في أواخر العهد الروماني، فضلاً عن فهم تأثيره الفلسفي واللاهوتي في التراثين المسيحي والغربي.

أهم النتائج المتوصل إليها تبين أن سيرة القديس أوغسطين تُجسّد تجربة إنسانية وروحية عميقة، تتجاوز حدود الزمان والمكان، حيث عبّر من خلالها عن صراع دائم بين الجسد والروح، وبين الحيرة واليقين، لم يكن تحوّلُهُ إلى الإيمان لحظة مفاجئة، بل ثمرة مسار طويل من التساؤل والتأمل، أثر فيه محيطه العائلي والفكر خاصة والدته مونيكا، وأمبروزيوس، والفلسفة الأفلاطونية المحدثة، لقد استطاع أوغسطين أن يمزج بين العقل والإيمان، وأن يحوّل تجربته الذاتية إلى فكر حيّ، لا يزال يلهم الباحثين حتى اليوم، ومن خلال مؤلفاته الكبرى، لا سيما الاعترافات ومدينة الله، برز كأحد أبرز المفكرين الذين وحدوا بين البعد الروحي والنقد العقلي، وساهم في بناء لاهوت مسيحي متكامل.

كما أظهرت تجربته في هيبو نضجه الكامل، حيث جمع بين العمل الرعوي والدفاع العقائدي، فكان قائدًا كنسيًا وفيلسوفًا مؤثرًا، لعب دورًا محوريًا في توحيد الكنيسة ومواجهة الهرطقات، وهكذا، فإن فكر أوغسطين يظل حاضرًا بقوة، لكونه لا ينطلق من مجرد تععيد لاهوتي، بل من معاناة إنسان يبحث عن الحق، ويصوغ من تجربته مرجعية فكرية وروحية لا تنضب.

عرفت هذه الدراسة بعض التحديات المنهجية والمعرفية، من أبرزها ندرة المصادر المتخصصة باللغة العربية حول شخصية أوغسطين مقارنة بالمراجع الأجنبية، إضافة إلى صعوبة التعامل مع النصوص الأصلية ذات الطابع الفلسفي واللاهوتي المعقّد، خاصة ما يتعلق بالمصطلحات الفكرية الدقيقة، كما شكّلت تعدّد القراءات التاريخية لفكره وسيرته عائقًا في الوصول إلى رؤية موحدة، مما تطلب جهدًا إضافيًا في التحليل والمقارنة بين المصادر المختلفة.



نظرة حول أوضاع بلاد المغرب القديم

تمهيد

انتهجت روما في شمال إفريقيا سياسة تقوم على ترسيخ نفوذها الإداري والاقتصادي من خلال إخضاع المدن للنظام البلدي الروماني وتنظيم العلاقات الاجتماعية والمالية وفق معاييرها وقد سعت هذه السياسة إلى دمج الأهالي في المنظومة الإمبراطورية عبر فرض الضرائب وتوسيع قاعدة المواطنة، بما يضمن الولاء للإمبراطورية ويُحکم سيطرتها على الموارد المحلية¹

لقد أصبحت المواطنة الرومانية بعد الحروب متعددة، ومع أنَّ القانون الأهالي بحيث يتيح لبعض الأهالي التمتع بها، فإنها لم تعد تقتصر على الطبقة العليا وحدها، بل كانت تمنح أحياناً لأفراد من الطبقات الوسطى والدنيا أيضاً ومن المعروف أنَّ الإمبراطور كراكلا (Caracalla) أصدر سنة 212 م مرسوماً يعطي المواطنة الرومانية لجميع سكان الإمبراطورية باستثناء العبيد وكان هذا الإجراء ذا أهمية كبرى من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية فالمرسوم الذي صدر عام 212 م، وهو المرسوم الذي عرف بمرسوم الإمبراطور كراكلا كان يرمي إلى توحيد الإمبراطورية الرومانية سياسياً، قبل أن يتم توحيدها إدارياً وثقافياً واقتصادياً مع أنَّ بعض الباحثين يرون أن هذا المرسوم كان يهدف في الدرجة الأولى إلى توسيع القاعدة الضريبية، فإن ذلك لا يمنع من القول بأن الإمبراطور كراكلا كان يسعى إلى تحقيق الوحدة بين مختلف الشعوب الخاضعة للحكم الروماني وكان منح الأهالي المواطنة

¹ محمد البشير شنتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر:

المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984 ص 145

الرومانية يجعلهم على قدم المساواة مع الرومان في الحقوق والواجبات، ولا تختلفون عنهم إلا في بعض الأمور الشكلية¹.

جاء مرسوم كالاكلا في سياق سلسلة من التحولات السياسية والعسكرية التي شهدتها فترة حكمه، وكان أبرز إجراء تشريعي اتخذته، حيث نصّ على منح المواطنة الرومانية لكافة الرجال الأحرار في أنحاء الإمبراطورية ممن لم يكونوا يتمتعون بها من قبل، باستثناء "المستسلمين (Dediticii)"، التي هيا أدنى طبقات السلم الاجتماعي داخل الإمبراطورية الرومانية، وهي الفئة التي تضم الشعوب التي خضعت لروما قهراً دون اتفاقات رسمية، ورفضت الانخراط في النموذج الثقافي الروماني الرومانية².

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي، وضمن سياق استكمال تنظيم هذه البنية الاجتماعية، صدر مرسوم هونوريوس (Honorius)³ بتاريخ 30 جانفي 412، (انظر الملحق رقم 1)، والذي يُعد من أبرز الوثائق القانونية التي تتيح فهماً واضحاً لتراتبية المجتمع آنذاك فقد نصّ على فرض غرامات

¹ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق ص. 174

² عماد بونقاب، عبد الحميد بعبطيش، "مرسوم كركلا 212م وتأثيره على بلاد المغرب القديم خلال القرن 3م"، مجلة الإحياء، م 23، ع 32، 2023، ص 713-715

³ هونوريوس: Honorius، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الغربية، حكم بين سنتي 393م و423م، وهو ابن الإمبراطور ثيودوسيوس الأكبر. وُلِد في 9 سبتمبر 384م بمدينة القسطنطينية، وتقلّد منصب القنصل مرتين، أولهما سنة 386م، ثم سنة 393م، قبل أن يُمنح لقب أوغسطس سنة 394م. عُرف هونوريوس باهتمامه الكبير بالكنيسة، حيث منح عدة امتيازات لرجال الدين، كما قاد حرباً شديدة ضد الحركة الدوناتية والوثنية، في سياق دعم العقيدة المسيحية الرسمية داخل الإمبراطورية. تُوفي في 15 أوت 423م. للمزيد، يُنظر إلى: حميدة نشنش، "إجراءات الإمبراطور هونوريوس للقضاء على الحركة الدوناتية"، مجلة الباحث، ع 25، 2021، ص 561

مالية تُحدّد وفقاً للمكانة الاجتماعية لكل فرد، مما يكشف استمرار التصنيف الطبقي الدقيق داخل المجتمع، ويعكس إلى حدّ بعيد بقاء الفوارق بين الفئات¹.

1_ الاشراف

تشكّلت النخبة الاجتماعية في المجتمع الروماني من طبقة الأرسقراطيين الذين كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة بحسب التدرج الهرمي الاجتماعي في قمة هذه الطبقة نجد فئة البرجوازيين الاسباد أي الاشراف من نسل روما (municipes), كان هؤلاء يحتكرون المناصب الشرفية والوظائف السامية في المدينة، كما كانوا يشكّلون مجلس البلدية، وتُورث عضويتهم فيه عبر الأجيال, ويشتغلون كذلك مهام الاشراف على الوظائف العليا, كالحماية و السفارة والبريد كانوا يؤودن هذه الوظائف لصالح الدولة او بلدتهم².

ثم تليها فئة السناتوريون (Senatores) و اللامعين (Clarissimi), اعتمدت هذه الطبقة الاجتماعية في ثروتها على تركّز الملكية العقارية، حيث امتلكت مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة، مما مكّنها من السيطرة على الإنتاج الفلاحي، وخاصةً محاصيل مثل زيت الزيتون، الذي كان

¹ خديجة زموري، القديس أغوستين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، أطروحة دكتوراه، جامعة 8 ماي 1945 قلّة، قسم التاريخ، 2017، ص 20

² محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 175

يُعد من أبرز المنتجات المصدّرة آنذاك ,وبفضل ذلك، تمتعت النخبة بعدد من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي عزّزت نفوذها داخل المجتمع وفي أجهزة الحكم المحلية¹.

مثّلت الطبقة الوسطى في المجتمع الروماني، وعلى وجه الخصوص صغار الفلاحين الأحرار، عنصراً أساسياً في الحياة الاقتصادية، حيث ساهموا بشكل كبير في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة، إلا أن هذه الفئة تعرضت، مع مرور الزمن، إلى ضغوط متزايدة تمثلت في تصاعد الأعباء الضريبية المفروضة من قبل الإدارة الإمبراطورية، لا سيما الضرائب العقارية والجبايات المفروضة على الإنتاج الزراعي، والتي أثقلت كاهلهم بشكل كبير، وقد كانت هذه الضرائب تُفرض دون مراعاة للظروف الاقتصادية للفلاحين الصغار، الذين اضطروا في كثير من الأحيان إلى بيع أراضيهم أو الدخول في علاقات تبعية مع كبار الملاك (Patroni)، مقابل الحماية أو ضمان الاستقرار المعيشي، و أصبح العديد منهم عاجزين عن دفع الضرائب وهذا ما أدى إلى مصادرة ممتلكاتهم أو إجبارهم على أداء خدمات مجانية لصالح ملاك الأراضي أو السلطات المحلية، ومع استمرار هذا الضغط، بدأت أعداد صغار المزارعين تتناقص تدريجياً، إمّا بسبب الهجرة نحو المدن، أو بسبب تحولهم إلى طبقة شبه تابعة، فاقدة للحقوق الكاملة في التملك أو التنقل، وهو ما مهّد لتحول البنية الاجتماعية نحو سيطرة كبار الملاك على الأرض والموارد، مع بداية تآكل الطبقة المتوسطة المنتجة².

¹ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 20

² خديجة زموري، المرجع السابق، ص 23

2_ الطبقة الوسطى:

كانت هذه الطبقة بمثابة العمود الفقري للحياة في المجتمع الروماني، حيث أدت دورًا محوريًا في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين غير أنها لم تصمد أمام الأزمات الاقتصادية التي عصفت بالإمبراطورية من جهة، ولا أمام الأعباء الضريبية الثقيلة التي فرضت عليها من جهة أخرى فقد كان يُنظر إليها باعتبارها المصدر الرئيسي للضرائب، إذ كان سكان المدن من الحرفيين والتجار يتحملون ضرائب باهظة، إلى جانب تقديمهم لمبالغ من الذهب عند تنصيب إمبراطور جديد، بالإضافة إلى الهدايا والذهب التي كانوا يقدمونها في مناسبات متعددة، وتمثلت هذه الطبقة أساسًا في صغار الملاك، الذين كان مصيرهم في النهاية إلى الاضمحلال، إذ بدأت أعدادهم تتناقص تدريجيًا فقد اضطرّ العديد من صغار الفلاحين الأحرار إلى التخلي عن أراضيهم طواعية لفائدة كبار الملاك أو المزارعين، في محاولة للتخفيف من وطأة الضرائب الثقيلة وللتخلص من عبء الدفاع عن مساكنهم في وجه الغزاة أو اللصوص وهكذا، أصبح الفلاح الذي كان يملك قطعة أرض صغيرة يتعهد بزراعتها مقابل دفع إيجار سنوي أو تقديم خدمات معينة لصاحب الأرض الجديد¹.

3_ الطبقة العامة:

تُعدّ طبقة الأحرار فئة اجتماعية تمثل عامة السكان في المقاطعات، وقد اعتبرهم الرومان من الأجانب (Peregrini)، أي أنهم لم يكونوا يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية الكاملة، وخلال

¹ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 23

فترات الاحتلال، تم تجريدهم من ممتلكاتهم، خاصة الأراضي الزراعية، مما أدى إلى تدهور أوضاعهم الاجتماعية بشكل كبير، وقد أُقصي الكثير منهم إلى أدنى درجات السلم الاجتماعي، وأُجبروا على العمل في المزارع والحقول تحت سلطة كبار ملاك الأراضي، في ظروف قريبة من التبعية الاقتصادية والاجتماعية.¹

4_ طبقة العبيد :

أما طبقة العبيد، فقد تشكّلت من أولئك الذين فُقدت حرّيتهم نتيجة مقاومتهم للاحتلال أو بسبب تبعات الحروب والتوسع الروماني² وكانت هذه الفئة خاضعة تمامًا لسلطة أسيادهم، إذ فقدوا كل مقومات الشخصية القانونية، ولم يكن يُعترف لهم بأي حقوق مدنية أو أهلية، سواء في التملك أو الزواج أو المثول أمام المحاكم، كما لم يُسمح لهم بإبرام العقود أو التصرف المستقل، وبهذا المعنى، لم يكن العبد يعتبر شخصًا قانونيًا، بل مجرد أداة مملوكة، يستغل في خدمة مصالح السيد، ولا يرث، ولا يورث، ولا يُحاسب كمواطن، وقد كانت هذه الوضعية المهينة تمتد أحيانًا إلى بعض الأحرار الذين سقطوا، بسبب الديون أو الحروب، في علاقات تبعية شديدة، قريبة من العبودية، وهو ما يؤكد

¹ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 23

² محمد العربي لعقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 277

أن الاسترقاق لم يكن مجرد ظاهرة اقتصادية، بل مؤسسة اجتماعية قانونية مُنهيجة في بنية الإمبراطورية الرومانية¹.

كان العبيد في المجتمع الروماني، بما في ذلك في بلاد المغرب القديم، يعانون من سوء المعاملة في معظم الأحيان، إذ كانوا عرضة للضرب، والسجن، وأشكال التنكيل المختلفة ولم يكن يُسمح لهم بعقد الزواج وفق الطرق القانونية، كما لم يكن معترفاً بمراسمهم الدينية. وإذا أنجب العبد أطفالاً، فإنهم يُعدّون ملكاً للسيد منذ لحظة ولادتهم، ويُعطون اسم الأم دون الأب. وكان يُفرض على العبيد ارتداء أطواق حديدية في أعناقهم، منقوش عليها اسم السيد وعنوانه، لتمييزهم وضمان إعادتهم في حال فرارهم هذا يعني بأن العبيد كانوا من النساء ورجال².

استخدم العبيد كذلك في مختلف الأنشطة، سواء في الحقول والمزارع أو داخل البيوت، بل وامتدت مهامهم إلى بعض الأعمال الحرفية والخدمية في المدن، ومن الجدير بالذكر أن بعض العبيد، إذا أظهروا حسن السلوك وأثبتوا ولاءهم وثقة أسيادهم، كان يُعتقون ويُمنحون قطعة أرض صغيرة لاستصلاحها، على أن يتقاسموا غلالها مع أسيادهم السابقين، في إطار نظام شبه تعاقدية يضمن استمرار تبعيتهم الاقتصادية رغم تحرّهم القانوني³.

¹ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 24.

² عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم: النشأة والتطور (180-430م) أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ القديم، جامعة قسنطينة، 2010-2011، ص 84.

³ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 250.

الأوضاع الدينية:

2_1 دخول المسيحية الي المغرب القديم

تعتبر سنة 180م بداية مرحلة مفصلية في تاريخ المسيحية ببلاد المغرب القديم، إذ تغيب لدينا معطيات دقيقة وموثوقة حول المسيحية الأفريقية قبل هذا التاريخ، رغم إشارات "ترتليانوس" إلى وجود مسيحيين في موريطانيا وبين قبائل الجيتول، وقد أكد ترتليانوس في كتاباته انتشار المسيحية بشكل واسع في عصره، حيث قال: "نحن أبناء الأمس، نملأ اليوم الأرض وممتلكاتكم من مدن وجزر ومواقع محصنة وبلديات وضياع ومعسكرات ومقابر ومقرات القيادة والقصر ومجلس الشيوخ والפורوم، ولم نترك لكم سوى المعابد , يمكنكم إحصاء جيوشكم، لكن مسيحيي مدينة واحدة أكثر عدداً منكم. بإمكاننا هزيمتكم بمجرد الانفصال عنكم، بلا سلاح ولا تمرد، وإنما بهذا الطلاق البغيض"، ويُفهم من كلامه أنّ المسيحية عرفت انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب القديم، وبخاصة في إقليم البروقنصلية حيث كان مقر القيادة الرومانية ومقام ترتليانوس نفسه¹.

مع ذلك، لم تصلنا معلومات مؤكدة عن ظهور المسيحية في المنطقة قبل سنة 180م، وهي السنة التي شهدت أول اضطهاد مارسته السلطات الرومانية ضد المسيحيين، في مدينة سكيلى (Scilli)، ما جعل من هذا الحدث محطة بارزة ومؤثرة في مسار تاريخ المسيحية بالمغرب القديم.²

¹ عبد الحميد عمران , المرجع السابق , ص , 73

² المرجع نفسه ص , 73

2_2 انتشار المسيحية في المغرب القديم :

جاء انتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم نتيجةً لتراكمات اجتماعية ومعشيه فقد لاقت هذه الديانة الجديدة رواجًا واسعًا بين مختلف فئات المجتمع، ولا سيما بين الطبقات الفقيرة والمهمشة، التي عانت من التفاوت الطبقي والاستغلال، ووجدت في المبادئ المسيحية التي تقوم على العدل، والمساواة، والرحمة متنفسًا روحيًا واجتماعيًا، وشكلاً من أشكال المقاومة الصامتة لظلم الواقع وقد انتشرت المسيحية بسرعة في المنطقة، خاصة في ظل الأوضاع التي كانت تعيشها الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت "الوثنية الرسمية" المرتبطة بعبادة الأباطرة تشكل الدين السائد، مدعومة من الدولة، لكنّها لم تعد تقنع الناس، ولم توفر لهم الاستقرار أو العدالة الاجتماعية وبالمقابل، قدّمت المسيحية منظومة أخلاقية وإنسانية لامست معاناة الجماهير، خاصة في ظل الأزمات الاقتصادية والسياسية التي عرفتتها المنطقة في القرنين الثالث والرابع الميلاديين حيث بلغ عدد المسيحيين في شمال إفريقيا حوالي مائة المسيحي ابتداءً من القرن الثالث الميلادي، مما دفع السلطات الرومانية إلى التعامل مع هذه الديانة الجديدة باعتبارها خطرًا سياسيًا واجتماعيًا 130م.¹

عند ظهور الديانة المسيحية، كان سكان بلاد المغرب القديم يعيشون أوضاعًا اجتماعية مزرية، في ظل سياسات قمعية انتهجتها السلطة الرومانية، والتي كانت تقوم على الاستيلاء على الأراضي وفرض نظام استغلال طبقي صارم، فقد صادرت الإدارة الرومانية جزءًا كبيرًا من الأراضي الخصبة،

¹ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 144.

التي انتزعتها بالقوة من أصحابها الأصليين، واستولت أيضاً على الغابات والمراعي، فحوّلتها إما إلى أملاك خاصة للإمبراطور، أو إلى أراضٍ تابعة للولايات الإمبراطورية، أو إلى خزينة عامة تخدم مصالح الدولة الرومانية، فمُنحت هذه السياسة الامتيازات الكبرى للنخبة الرومانية، خاصة أعضاء مجلس الشيوخ، وممثلي الطبقة المالكة، ما أدى إلى تمركز الأرض والثروة في يد فئة قليلة وتشير المصادر إلى أن نصف الأراضي الإفريقية تقريباً كانت في تلك الفترة تحت سيطرة ستة كبار الملاك¹.

3_2 الاضطهادات الدينية

كانت للسياسة التي انتهجتها روما نتائج وخيمة على أفراد مجتمع المغرب القديم، وعند دخول الديانة المسيحية إلى المنطقة، نلاحظ أنها نددت بكل الممارسات السابقة، حيث كانت مختلفة تماماً عن الديانات السائدة آنذاك فقد دعت معتنقيها إلى قطع كل صلة بالعبادات القديمة، وذلك بالتفرغ لعبادة الله وحده، والتخلي عن الوثنية، وما كان يُعبد سابقاً².

وفقاً لما سبق، بدأت سنوات الاضطهاد ضد المسيحيين، والتي امتدت لنحو قرن ونصف، من سنة 64 إلى 311 م مغير أن هذا الاضطهاد لم يكن متواصلاً، بل تخلّلته فترات من الهدوء، وقد بدأت أولى موجاته في عهد الإمبراطور نيرون (Nero Claudius Caesar Augustu) الذي اتهم

¹ سعيدة أويحيى، الديانة المسيحية في المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الميلادي إلى بداية القرن الخامس الميلادي 180-411م،

أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2016-2017، ص. 184

² حميدة نشنش، رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية إلى نهاية القرن الثاني ميلادي إلى غاية السلام المسيحي سنة 313 ميلادي من خلال ترتوليانوس وكريانوس، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص. 110.

المسيحيين بإضرام النار في مدينة روما، فأصدر قانوناً يمنع اعتناق المسيحية أو التبشير بها علناً وتم لاحقاً تعديل هذا القانون تدريجياً على يد كل من تراجيانوس " وهادريانوس (Publius Aelius Hadrianus)، (Marcus Aurelius) ، ماركوس أوريليوس "، قام الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus)، الذي حكم بين سنتي 193 و211م، بإصدار مرسوم يمنع بموجبه نشر الديانتين اليهودية والمسيحية¹.

أصدر الإمبراطور فاليريانوس (Valerianus) منشورين في سنة 250م استهدفا الوجود المسيحي داخل الإمبراطورية الرومانية نصّ المنشور الأول على أنه في حال رفض الأساقفة والرهبان العدول عن معتقداتهم والعودة إلى عبادة الأوثان، فإنهم يُعاقبون بالإعدام، مع منع المسيحيين من ممارسة شعائرتهم الدينية أما المنشور الثاني، فقد جاء أكثر شدة، حيث نصّ على إعدام رجال الدين المسيحيين الذين رفضوا اعتناق الديانة الرسمية للإمبراطورية، كما قضى بتجريد أعضاء مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان المعتنقين للمسيحية من ألقابهم وأنسابهم، ومصادرة ممتلكاتهم، وفي هذا السياق، قام البروقنوسول ماكسيمينيوس (Maximinianus) باستدعاء الأسقف كيريانوس (Cyprianus) أسقف قرطاجنة، الذي رفض تقديم القرابين للآلهة والتخلي عن إيمانه، فصدر في حقه حكم الإعدام، ونُقذ بقطع رأسه في 14 سبتمبر من سنة 258م، لُيعدّ بذلك أول أسقف يُستشهد في بلاد المغرب وقد أدّت هذه

¹ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي سنة 647م تونس الجزائر المغرب الأقصى، تر: محمد مزالي بشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، دار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 256

الممارسات العنيفة والممنهجة ضد المسيحيين إلى تراجع عدد من المؤمنين عن ديانتهم تحت وطأة القمع والاضطهاد.¹

يبدو أن سكان المغرب القديم عانوا معاناة كبيرة نتيجة اعتناقهم للديانة المسيحية، إذ كانت الطبقة الرومانية الحاكمة تُعارض انتشار المسيحية بشدة، وتعتمد إلى معاقبة معتنقيها بأساليب قمعية تتسم بالقسوة والوحشية، ولم تقتصر مقاومة السلطات الرومانية على القمع المباشر فحسب، بل عملت كذلك على وضع العراقيل أمام انتشار هذه الديانة الناشئة ومنعها من التوسع، ومع تنامي عدد المسيحيين واتساع رقعة تأثيرهم، تصاعدت وتيرة الاضطهاد، فأودع العديد من المؤمنين السجن في كل من إيطاليا والمغرب، ومن أبشع صور التعذيب التي مورست بحقهم، ما كان يُعرض في ملاعب المصارعة، حيث يُطلق على المسيحيين الجياع من الأسود المفترسة لتفتك بهم أمام أنظار الجماهير، بينما يُظهرون ثباتًا وجلدًا في مواجهة الموت²، خاصة مع اعتلاء الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (Septimus Severus) العرش 193-211م حيث أصدر مرسومًا يحرم نشر الديانة اليهودية والمسيحية.³

¹ نور السادات بوقفة سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقف السكان منها 164-430م، مذكرة ماجستير، قسم

التاريخ، الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار، 2015-2016، ص 101

² توفيق حمد المدني، قرطاج من عصر التجارة إلى الفتح الإسلامي، طبعة تونس، تونس، 1926، ص 114-117.

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، 256

ترتب على ذلك تعرض المسيحيين لأشكال مختلفة من الاضطهاد, حيث تم سجنهم، وإجبارهم على إنكار عقيدتهم , وتمت مصادرة ممتلكاتهم كما أعيد تنظيم الجهاز الكنسي، وصدرت تشريعات جديدة تزيد من تضيق الخناق عليهم¹.

بلغت هذه الاضطهادات ذروتها في عهد الإمبراطور فاليريانوس (Valerianus)، حيث تم التضيق على الكنائس، وأغلقت أماكن العبادة، وتعرض رجال الدين للتعذيب والقتل , وقد تمثلت بعض مظاهر هذا القمع في إلقاء المسيحيين للأسود في الساحات العامة، أو إحراقهم وهم أحياء، وهو ما أدى إلى صمود بعضهم وتراجع البعض الآخر عن إيمانه².

4_ تحوّل المسيحية من الاضطهاد إلى الاعتراف الرسمي في عهد الإمبراطور قسطنطين

أعلن الإمبراطور قسطنطين الكبير سنة 313م , المسيحية ديانةً معترفًا بها رسميًا في الإمبراطورية الرومانية، وذلك بموجب مرسوم ميلانو³ الشهير , وقد كان عدد من أعوانه وأنصاره من المسيحيين, مما عزز موقع هذه الديانة في الدولة, غير أن إعلان المسيحية ديانة رسمية لم يُقابل بترحيب موحد من

¹ عبد الرحمن بن عطا الله ، "انتشار الديانة المسيحية في إفريقية خلال الاحتلال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، ع 11، ص. 142.

² نور السدات بوقفة، المرجع السابق , ص, 101

³ مرسوم ميلانو (Edit of Milan 313)، : عند مؤتمر بين الحاكمين قسطنطين وماكسيميانوس في ميلانو في 313م، والذي أسفر عن إصدار قرار ميلانو الشهير، والذي يقضي بحرية الأفراد في ممارسة الشعائر الدينية التي يرونها مناسبة، كما أقر بحرية المسيحيين في كل أراضي الإمبراطورية، وأعاد إليهم وفقًا لذلك ممتلكاتهم التي سُلبت منهم، كما أعيدت الكنيسة من الاضطهادات الإجرامية وحرص من أقرّوا هذا القرار بطرحه في الغرب و الشرق خاصة بعدما عانى المسيحيين من الاضطهاد الطويل على يد ماكسيميانوس للمزيد ينظر إلى ,خديجة زموري , المرجع السابق , ص 49

جميع الشعوب الخاضعة للسلطة الرومانية, إذ سارع العديد من البربر إلى الانسحاب من المسيحية, بعدما أدركوا أنها لم تعد تمثل وسيلة للمقاومة الرمزية أو الثقافية ضد الرومان, بل أصبحت دين الدولة الرومانية ذاتها, وهكذا, فإن اعتناق العديد من البربر للمسيحية في السابق كان بدافع المعارضة غير المباشرة للسلطة الرومانية الحاكمة لكنّ تحوّل هذه الأخيرة إلى المسيحية جعل البربر يبحثون عن أداة بديلة للتعبير عن اختلافهم وتمييزهم وقد وجدوا ذلك في إثارة خلاف مذهبي داخل الديانة المسيحية نفسها مما أدى إلى انقسام ديني حاد, خاصة بعد وفاة أسقف قرطاج (Mansurius) مانسوريوس, إذ نشب خلاف حول تسمية خليفته حيث رُشّح الراهب ساسليان (Caecilianus) ليخلفه, لكن بعض الجماعات وخاصة من أنصار الفتنة رفضوا هذا الترشيح وقد تزعم المعارضين راهب نوميدي يُدعى دوناتوس¹ (Donatus Magnus).

¹عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1984، ص ص 59-60.

الفصل الأول: التعريف بأوغسطين

المبحث الأول: النشأة

المبحث الثاني: التكوين

المبحث الثالث: أبرز محطات حياته

1. مولده

وُلد أوريليوس أوغسطين, (Aurelius Augustinus) في 13 نوفمبر سنة 354م، بمدينة طاغست (Tagaste)، "المعروفة اليوم بسوق أهراس في الجزائر"¹ كانت جزءًا من نوميديا التي كانت خاضعة للحكم الروماني في تلك الفترة،² من أمٍ مسيحية تُدعى مونيكا (Monique)³، وُلدت مونيكا سنة 332م⁴، كانت مونيكا تمتاز بالوداعة والاستقامة الأخلاقية، وكانت تصغر زوجها بعدة أعوام.⁵ أما زوجها، فكان يدعى باتريكيوس (Patricius)، وهو مواطن من عامة الشعب، ذو

¹ طاغست: تُعدّ طاغست من أهم مدن نوميديا الشرقية، وقد تأسست في القرن الثالث قبل الميلاد على يد الملك زالا سان. تقع في منطقة مرتفعة، وكانت من الحواضر الثقافية والعلمية البارزة في نوميديا خلال الفترة الرومانية. وقد قامت مدينة سوق أهراس الحالية على أطلالها. كانت طاغست تقع في الجهة الشرقية من نوميديا، وأصبحت لاحقًا جزءًا من الإمبراطورية الرومانية، وتبعد حوالي 100 كم عن مدينة هيون (المعروفة اليوم بعنابة)، و230 كم عن مدينة قرطاج. للمزيد، يُنظر إلى: إلياس بن عبد الله دكار، "أغوسطين طاغست: الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي - دراسة استقرائية تحليلية في الفكر الأغوسطيني"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، م5، ع9، 2020، ص.43

² Serge Lancel, Entre africanité et romanité : le chemin d'Augustin vers l'universel, communication au Premier colloque international sur le philosophe Augustin, 17 avril 2001, p. 5-6.

³ Mahmoud Djedaïte, Saint Augustin, fils de Thagaste et de la Numidie, Alger, Éd Apic, 2009, p.

⁴ محمد العيد تيلي، نجاته رزوق، "القديسة مونيكا: مكانتها ودورها في حياة القديس أغوسطين (331م-387م)" مجلة عصور الجديد، م13، ع2، جامعة وهران، 1، 2023، ص.61

⁵ علي زيعور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الواسطية، ط1، دار اقرأ، لبنان، 1983، ص.115.

أصول رومانية¹، كانت والدته قريبة اجتماعيًا من عائلة والد باتريكيوس، ما يشير إلى ترابط العائلات في البيئة المحلية. أما مونيكا، فقد كانت شابة ناضجة عند زواجها، وليست طفلة كما كان شائعًا أحيانًا في روما. وقد أنجبت لزوجها ثلاثة أبناء: فتاة لم يُعرف اسمها، ويُرجَّح أنها أصبحت راهبة فيما بعد، وولد آخر يُدعى نافيجيوس (Navigius)².

كان والد أوغسطين وثنيًا، إلا أنه لم يُبدِ معارضة لزوجته مونيكا في ممارسة ديانتها المسيحية، كما لم يمنعها من تربية ابنهما أوغسطين على المبادئ المسيحية³، ورغم أن والد أوغسطين كان وثنيًا، ولم يُمنع في البداية ممارسة زوجته مونيكا لمعتقداتها الدينية وتربية ابنها وفقًا للمبادئ المسيحية، إلا أنه رفض تعميد أوغسطين وهو طفل، غير أن أوغسطين، عندما كان صغيرًا، أُصيب بمرض خطير كاد أن يودي بحياته، فنذرت مونيكا أن تعمده إن تماثل للشفاء، فوافق باتريكيوس مؤقتًا، بدافع الخوف من فقدان ابنه. وبالفعل، تعافى الطفل، وفرحت أمه كثيرًا، وسعت إلى تعميد، لكن زوجها عاد وتراجع عن قراره، ورفض السماح بتعميده.⁴

¹ Djedaïte Mahmoud, op. cit., p. 28

² Serge Lancel, Saint Augustin, Paris, Fayard, 1999, p. 24

³ القديس أغسطينوس، الاعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، ط4، دار المشرق، بيروت، الكتاب الأول، ص 18-19

⁴ محمد العيد تيلي، نحة رزوق، المرجع السابق، ص 61

كان لقب عائلة أوغسطين يُنسب قانونيًا إلى المجتمع الروماني، وذلك أثناء صدور مرسوم كراكلا¹ سنة 212م، الذي نصّ على منح الجنسية الرومانية لجميع الأحرار داخل الإمبراطورية، ويعني هذا أن أوغسطين وعائلته كانوا يُعدّون قانونيًا رومانًا منذ أكثر من قرن ونصف من ولادته² كان والده، منتمياً إلى الطبقة الوسطى في المجتمع الروماني الإفريقي. فقد كان من أصحاب الأراضي الحرة، كما شغل منصب مشرف محليّ في مدينته، ورغم أنه لم يكن غنيًا بما يكفي لتولي المناصب العليا في الإدارة المحلية، إلا أنه شارك في إدارة شؤون المدينة، وحرص على الحفاظ على مكانته الاجتماعية. وهذا ما جعل عائلة أوغسطين تُصنّف ضمن الطبقة المتوسطة، المعروفة في المجتمع الروماني باسم (Honestiores)³، فقد امتلك والده بعض الأراضي في مدينة طاغست، وكانت عائلته تُعدّ تقريبًا جزءًا من البرجوازية الصغيرة، وعندما كان أوغسطين صبيًا، أدخلته والدته إلى الكنيسة ليتلقى تعاليم المبادئ المسيحية الأساسية، وقد حظي برعاية أسرية وقرت له سبل التعليم منذ نعومة أظافره.⁴

¹ مرسوم كاراكلا (Caracalla): المعروف أيضًا باسم Constitutio Antoniniana أو "مرسوم أنطونينوس"، هو مرسوم أصدره الإمبراطور الروماني كاراكلا سنة 212م، وليس 112م يُعدّ هذا المرسوم من الأحداث القانونية المفصلية في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، إذ نصّ على منح المواطنة الرومانية لجميع الرجال الأحرار داخل حدود الإمبراطورية² وقد منحهم ذلك حقوقًا متعددة، مثل حق التصويت، والزواج وفق القانون الروماني، والمشاركة في الحياة السياسية والإدارية. للمزيد ينظر إلى: عماد بونقاب، وعبد الحميد بعيطيش. "مرسوم كركلا وتأثيره على بلاد المغرب القديم خلال القرن 3م"، مجلة الإحياء، م 23، ع 32، 2023 ص 714-715

² Serge Lancel, Saint Augustin, op. cit., p. 21

³ Ibid., p. 22

⁴ Amand Biechy, Saint Augustin de l'Afrique au Ve siècle, 1^{re} éd., Barbou Frères, Imprimeur-Libraire, 1867, p. 55

1-1 طموح باتريكيوس لمستقبل أوغسطين في المجتمع الروماني :

عمل والد أوغسطين على تعليمه وتوجيهه، ساعياً إلى تأهيله ليصبح محامياً أو قاضياً، بهدف أن يظفر بمكانة مرموقة في البنية الهرمية للمجتمع الروماني، وقد بذل هذا الأب أقصى ما في وسعه لتأمين أفضل سبل التربية والتعليم لابنه، فعمل على تهيئته علمياً وثقافياً، وراح يجمع المال ويوفّر له الأقساط اللازمة لمتابعة دراسته العليا في قرطاج، التي كانت تُعدّ آنذاك من أبرز مراكز التعليم في الغرب الروماني.¹

ذكر أوغسطين والده باتريكيوس في كتاباته بإشارات محدودة، لا تحمل دلالات عاطفية أو روحية عميقة، فلم يحتل الأب مكانة بارزة في ذاكرته الوجدانية، بخلاف والدته مونيكا التي مثلت بالنسبة إليه نموذجاً روحياً ملهمًا، لم يصوّره كقدوة دينية أو فكرية، بل كرتب أسرة منشغل بأعباء الحياة اليومية، كالفلاحة وتسيير المناصب المحلية. ومع ذلك، لم يُنكر أوغسطين تفاني والده في تأمين تعليمه، رغم ضعف الإمكانيات المادية، حيث بذل جهوداً كبيرة وضحّى كثيراً من أجل مستقبل ابنه العلم.² توفي والد أوغسطين، باتريكيوس، عندما كان أوغسطين في السابعة عشرة من عمره.³

¹ Peter Brown, La Vie de saint Augustin, trad. Jeanne Marou, Éd. du Seuil, France 2001, p. 5.

² Serge Lancel, Saint Augustin, op. cit., p. 25

³ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص. 31.

1-2 ثنائية التمرد والتربية الإيمانية في سيرة أوغسطين الطفولية.

كان أوغسطين طفلاً ذكياً ومحباً للمطالعة، وقد أتقن اللغة اللاتينية منذ صغره، إذ كانت اللغة المتداولة في المنزل¹، مع ذلك، أضع كثيراً من وقته في الكسل والبطالة، إذ كان يميل إلى فعل ما يشاء دون رقابة تُذكر من والده، الذي ترك له حرية التصرف دون توجيه صارم،² ذكر أوغسطين في كتابه الاعترافات حادثة مؤثرة وقعت له في صغره، حين كان في أحد البساتين رفقة أصدقائه، حيث أقدموا على سرقة بعض ثمار الكمثرى، ويعلق على هذا الفعل قائلاً: "لم أرتكب تلك السرقة من أجل السرقة، بل لأنني أحببت الصحبة التي ارتكبتها معي"³، في تلك المرحلة، كان القديس أوغسطين مستمتعاً بأجواء الصحبة مع أصدقائه، إذ كان طفلاً متمرداً يسعى إلى لفت الأنظار ويحب أن يُظهر تفوّقه في كل شيء، حتى في ارتكاب الأخطاء، ورغم تأثره الكبير بأقرانه، فإن عقله كان موزعاً بين حبه لهم وبين تعاليم والدته القديسة مونيكا، التي حرصت منذ نعومة أظافره على غرس بذور الإيمان في قلبه، وقد كان يكنّ لها احتراماً عميقاً، ويعدّها مصدر إلهامه الروحي الأول غير أنّه، كما يُستشفّ من الاعترافات، لم يُدرك قيمتها الحقيقية إلا بعد اعتناقه للمسيحية،⁴ وقد تجلّى هذا التقدير العميق لمكانة والدته لاحقاً، حين راح يستحضر تضحياتها وتأثيرها الروحي في حياته،

¹ دانيال روبن، التراث المسيحي في شمال إفريقيا: دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى، تر: سميرة مالك، د ط، دار منهل الحياة، لبنان، ص. 260

² نفسه، ص، 161.

³ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص. 39.

⁴ خديجة زموري، المرجع السابق، 70

ومن أبرز الصفات التي تميزت بها القديسة مونيكا إيمانها العميق بقوة الصلاة, فقد أثمرت صلواتها أولاً بإيمان زوجها الوثني ,باتريكيوس، بالمسيحية قبل وفاته سنة 371م. أما الثمرة الثانية والأعمق، فكانت اهتداء ابنها أوغسطين بعد معاناة روحية وفكرية دامت ثلاثين عامًا من 354م إلى 387م، لم تجد فيها مونيكا سبيلاً سوى التضرع المستمر إلى الله¹.

يصف أوغسطين تأثير صلواتها بجرارة في الاعترافات، قائلاً: "بدموعها التي لم تجف، كانت تبكي أمامك من أجلي، وكانت صلواتها تدخل إلى حضرتك، أما أنا فكنت أستمّر في الضلال"².

التكوين

1-3 أوغسطين التلميذ: رؤية نقدية لطفولته المدرسية في طاغست

التحق أوغسطين بالمدرسة وهو في سنّ السادسة من عمره، في مسقط رأسه بطاغست، حيث تعلّم مبادئ الكتابة والقراءة والحساب³، وقد اتّسمت طفولته بنزعة مشاكسة وحيوية مفرطة؛ إذ لم يكن جسده يهدأ، ولا عقله يستقر، وكان ينتقل بين أرجاء البيت بخفة الأطفال ودهائمهم، شغوفاً باللعب واللهو، وجد متعته الكبرى في صحبة أقرانه، إذ كانت بالنسبة له تفوق كل متعة أخرى.

¹ Peter Brown, La Vie de saint Augustin, op. cit., p. 16

² القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الثالث الفصل 11

³ Amand Biechy, Saint Augustin, op. cit, p. 56

ورغم ما بدا عليه من براءة، فقد كان يعيش في داخله خوفاً دفيناً من العقاب، لا سيما العقاب المدرسي، الذي كان في تلك الحقبة صارماً وقاسياً¹.

وقد عبر عن ذلك لاحقاً في الاعترافات، حيث قال: ما أحببتُ العلمَ في حدثي، التي كانت أخفَّ وطأةً من صباي؛ كرهتُ الدرس والأسلوب المتبع، إذ أرغمتُ عليه، ومع أنني نفرتُ منه، فقد أكرهوني عليه².

كان أوغسطين ينفر من تعلّم اللغة اليونانية ويجد صعوبة في استيعابها،³ كان نفور أوغسطين من اللغة اليونانية أمراً بسيطاً في تفسيره، إذ تعود جذوره إلى الواقع الثقافي والتربوي الروماني في ذلك العصر، فقد كانت التقاليد الرومانية الممتدة عبر القرون تقضي بأن يتعلّم الأطفال اللغتين، اللاتينية واليونانية، في سن مبكرة، بل وفي كثير من الأحيان كانت اليونانية تتقدّم على اللاتينية، لا سيما في الأوساط الثرية، وكان من المعتاد أن يُوكل تعليم اللغة اليونانية إلى مربّب أو مربّبة من أصل يوناني، أو إلى أحد الخدم المتقنين لها بطلاقة، ما جعل تعلّمها يتم بطريقة طبيعية وعفوية داخل المنزل، غير أن أوغسطين نشأ في أسرة متواضعة لم تحظَ بمرتين يونانين، الأمر الذي حرم طفولته من هذه البيئة اللغوية الطبيعية، وقد بدأ تعلّمه لليونانية على يد معلّم صارم وجافّ، مما شكّل لديه فجوة عاطفية بين اللغتين، فاللاتينية ارتبطت في ذاكرته بالدفء والمودّة، بينما اقترنت اليونانية بالقسوة والانضباط،

¹ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit., p. 33

² القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 19

³ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit., p.34

بل وبالتعقيد اللغوي، ما جعله ينفر منها ويرى فيها لغة أجنبية غريبة وصعبة، وقد شبه اللغة اليونانية في إحدى تعبيراته بأنها: زهرة جميلة، لكنها مغطاة بالأشواك¹.

1-4 التعليم الكلاسيكي وتأثيره في تشكيل الوعي الأدبي لأوغسطين خلال مرحلة مادورا

في عام 365م²، إنتقل أوغسطين إلى مدينة مدورا³ لمواصلة تعليمه⁴، وهناك بدأ تظهر براعته في فن الخطابة، حيث تفوق على أقرانه وأظهر قدرة متميزة على التعبير عن نفسه، كان يستطيع أن يؤثر في مسامعهم ببراعته الخطابية فيجعلهم يضحكون تارة ويبكون تارة أخرى⁵، كما تمكن من التعبير عن مشاعره من غضب و ألم، وكان معظم أستاذه مادورا من الوثنيين مما جعل التعليم في هذه المرحلة كلاسيكي وثنى، حيث اضطر أوغسطين وأصدقائه إلى حفظ واستظهار قصائد هوميروس⁶، و

¹ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 22

² Peter Brown, La Vie de saint Augustin, op. cit., p. 16

³ مادور: (Madauros) تأسست مدينة مادوراو في القرن الثالث قبل الميلاد، لتصبح في عهد الملك ماسينيسا من أهم مراكز حراسة التحوم الجنوبية على مشارف بلاد الجيتول. وبعد الاحتلال الروماني، تحوّلت إلى واحدة من أبرز المستوطنات الرومانية تحت اسم "Colonia Flavia Augusta Veteranorum Madaurensium" أي "المستعمرة فلافيا أوغوستا لقدامى المحاربين من مادوراو." وتعدّ مادوراو المدينة التي أنجبت الأديب أبوليوس، مؤلف رواية "الحمار الذهبي"، الذي كان مثقفاً تكوينه الثقافي مزدوجاً، يجمع بين الثقافة اللاتينية واليونانية، في انسجام تام مع الحضارة الرومانية، رغم فخره الواضح واعتزازه بأصوله النوميديّة. للمزيد يُنظر: خديجة زموري، المرجع السابق، ص 74

⁴ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 31.

⁵ Peter Brown, La Vie de saint Augustin, op. cit., p.42

⁶ هوميروس: (Homer) هو شاعر إغريقي يُعد من أعظم شعراء الأدب اليوناني القديم. يُعتقد أنه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، ويُنسب إليه تدوين التراث الشفهي اليوناني في شكل شعر ملحمي، وأشهر أعماله "الإلياذة" و"الأوديسة". للمزيد، يُنظر إلى: حاجي عيسى، الطيب، وسعيد القلاش، "التدوين التاريخي عند الإغريق من هوميروس إلى ديودور الصقلي من القرن 12 قبل الميلاد إلى القرن 1 قبل الميلاد"، مجلة فينق للفكر التاريخي، م 22، ع 1، 2022، ص 12 13

شيشيرون¹ عن ظهر قلب ثم شرحها بدقة ولذلك غلب الطابع الأدبي على العلوم التي تلقوها², تعتبر سنوات مادورا بالنسبة لأغوسطين فترة إزدهار ونمو أولي مفعمة بالحياة و الحرية التي يتمتع بها المراهق, حيث لم تكن مخاوف المستقبل قد استقرت في ذهنه, فغاص فيها بكل شغف وحماس ليخوض تجاربه الأدبية الأولى خلال تلك المرحلة إعتبر الشعر ليس مجرد فن أو هواية عابرة, بل كنزنا ثمينا يرافقه في رحلته الفكرية³.

5-1 مرحلة ما قبل قرطاجة: الصراع بين التكوين الأخلاقي والانجذاب إلى اللذة في سيرة أوغسطين.

في عام 369م⁴, وبعد أن أنهى عامه الدراسي تعذر عليه العودة إلى مقاعد الدراسة من السنة التالية, إذ كان عليه ان ينتظر عاما كاملا فقد لاحظ والده بتاركوس ذكائه وفطنته ولم يرد تركه إلا في رعاية أمينة,⁵ لكن التكاليف الباهظة للدراسة والتنقل حالت دون جمع المال اللازم لإرساله إلى قرطاجة لمتابعة دراسته⁶, لقد تغير كثيرا حيث أصبح شابا بالغا وهي نقطة تحول جوهريه في حياته

¹ شيشيرون توليوس (Marcus Tullus Cicero): ولد عام 106 ق م وتوفي عام 43 ق م يعدو من أبرز خطباء وفلاسفة ورواد السياسة في روما القديمة فهو خطيب ورجل دولة روماني عرف ببلاغته وفصاحته في اللغة اللاتينية كتب عدة كتب أبرزها كتاب حول الجمهورية كذلك حول القانون وكذلك بعض الرسائل للمزيد ينظر إلى: فريد برادعة، "الفكر السياسي عند شيشيرون: الطريق نحو الكونية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، ع 21، م 10، 7 أكتوبر 2020 ص 44

² Peter Brown, La Vie de saint Augustin, op. cit., p. 42

³ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit., p 38

⁴ Peter Brown, La Vie de saint Augustin, op. cit p 44

⁵ Louis Bertrand, Saint Augustin, Arthème Fayard et Cie, France, 1913, p. 77.

⁶ القديس أغسطينوس, المصدر السابق, الكتاب الأول, ص 32.

الشخصية والفكرية، حيث رأى والده فيه شاباً ناضجاً وأب محتمل لأحفاده، وأمه فكانت دائماً تحذره من ارتكاب الفواحش والزنا خاصة مع النساء المتزوجات، لكن أغوسطين لم يولي أي اهتمام لهاته النصائح، بل شعر بالحنج من هاته النصائح¹، وكانت هاته السنة بمثابة منعطف حاسم في حياة أغوسطين إذ وجد نفسه حرّاً من دون مراقبة فاستسلم لأهوائه وانساق خلف أصدقاء السوء الذين تبادوا في انتهاك المحرمات بحثاً عن الملذات الزائلة²، وبفضل المبلغ الذي جمع والده بتركيسو استطاع أن يرسل ابنه إلى قرطاجة³.

6-1 أوغسطين في قرطاجة: بين التكوين المعرفي والتمزق الأخلاقي في بيئة حضرية مشحونة بالشهوات.

في عام 370م إتجه أغوسطين إلى قرطاجة لإكمال دراسته العليا هناك⁴، ما إن وصل إليها حتى وجد نفسه وسط بيئة تعجّ بالشهوات الجارحة والإغراءات المتنوعة، فانخرط في صراع داخلي مرير بين روح تطمح إلى الطهارة وتنفر من الملذات، وجسد يتوق إلى المتعة والانغماس فيها⁵، كانت قرطاجة آنذاك مدينة نابضة بالحياة الثقافية، يشكّل المسرح فيها عنصراً أساسياً من عناصر الترفيه،

¹ Lancel Serge, *Saint Augustin*, op. cit., p 40

² دانيال روبن، المرجع السابق، ص 261.

³ Lancel Serge, *Saint Augustin*, op. cit, p 43

⁴ Peter Brown, *La Vie de saint Augustin*, op. cit p16

⁵ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 31، 32.

حيث كانت تُقدّم عروض مسرحية شهيرة، إلى جانب استعراضات تُقام في الشوارع والمعابد¹، وقد تزامن هذا التحول مع فترة حداد لم تكد تمضي على وفاة والده، فاضطرت والدته، مونيكّا، أن تتحمّل وحدها أعباء تربيته وتوجيهه، معتمدة على دعم أحد أصدقاء العائلة، رجل يُدعى رومانيوس، الذي ساعدها في تأمين تكاليف دراسته ومساندتها في محنها.²

خلال إقامته في قرطاج، وقع أوغسطين في علاقة عاطفية مع امرأة لم يكن بمقدوره الزواج بها، بسبب الفوارق الاجتماعية التي كانت تفصل بينهما، في ظل الأعراف والقوانين السائدة آنذاك، والتي كانت تمنع الزواج المختلط بين الطبقات. ورغم عمق هذه العلاقة التي دامت سنوات، ظلّت خارج إطار الزواج الرسمي، وقد أثمرت عن مولود سمّاه أوغسطين أوديوداتوس (*Adeodatus*)، وهو اسم لاتيني يعني "عطية الله"،³.

تميّزت حياة الطلبة في قرطاج بالصعوبة، خاصة بالنسبة للوافدين الجدد، إذ كانوا يمرّون بطقس اجتماعي تقليدي يُعرف بـ"التهيئة"، وهو شكل من أشكال البحث عن القبول داخل الجماعة الطلابية، وغالبًا ما كانت هذه الممارسات تتسم بالخشونة وأحيانًا بالقسوة، وقد تهدف إلى اختبار مدى صلابة الشخصية وقدرة الطالب على الاندماج، غير أن أوغسطين أظهر تفرّدًا في هذا السياق، فقد كان يتميّع بشخصية قوية وكاريزما لافتة، ما أكسبه احترام أولئك الذين يقودون هذه الطقوس،

¹ Serge, Lancel Saint Augustin, op. cit, p 48

² Ibid , p. 50

³ Ibid , p 50

رغم أنه لم يشاركهم فيها. بل أكثر من ذلك، كان يستهزئ أحياناً بهذه التصرفات، رافضاً الخضوع لها أو اعتبارها معياراً للاندماج أو النضج.¹

1-7 أثر بلاغة شيشرون في انبعث النزعة الفلسفية لدى أوغسطين الشاب

في سن التاسعة عشرة، قرأ أوغسطينس سنة 372م كتاباً لشيشرون يُدعى هورتنسيوس² (Hortensius)، وأُعجب أوغسطينس بالتعابير البليغة والأسلوب الأدبي الرفيع الذي تميّز به هذا الكتاب، فتأثر به تأثراً بالغاً،³ لقد أثار هورتنسيوس خيال أوغسطينوس الفلسفي، وأيقظ فيه توقفاً عميقاً إلى الحقيقة، مما دفعه إلى النظر في الكتاب المقدس بعين ناقدة، فرأى - في تلك المرحلة - أنه يفتقر إلى العمق البلاغي والفكري الذي وجدته في نصوص شيشرون، فاستصغره، واعتبره أقرب إلى ما يتناسب مع العقول البسيطة، لا مع الساعين إلى الحكمة⁴، جاء هذا الكتاب في مرحلة من النضج الفكري المتقدم، فكان ذلك كنوع من الوحي الذي غيّر مشاعره وصلواته وأمنيته ورغباته، وقد أشعل في داخله حب الحكمة⁵.

¹ Serge, Lancel Saint Augustin, op. cit, p 52

² هورتنسيوس: (Hortensius) كتاب ألفه الفيلسوف شيشرون إثر وفاة زوجته، ولم يتبق منه سوى أجزاء قليلة. يبحث فيه المؤلف في ضرورة التفلسف، باعتبارها السبيل الذي يُكسب الإنسان ثقافة واسعة. للمزيد، يُنظر: زيغور، علي. أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية. ط1، دار اقرأ، لبنان، 1983. ، ص 127.

³ زينب محمد لخصيري، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1992م، ص 12.

⁴ دانيال روبن، المرجع السابق، ص 263.

⁵ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 54

1-8 أوغسطين والمانوية: مرحلة الانجذاب إلى الشائبة الدينية في رحلة البحث عن الحقيقة

تفرغ أوغسطين بكامل طاقته من أجل دراسة أهم الكتب في زمانه سعياً وراء الحكمة و المعرفة الإلهية و خلال رحلته المستمرة في البحث عن الحقيقة تعرّف بجماعة دينية تعرف ب اسم "المنابيين"¹ والتي أسسها ماني في القرن الثالث للميلاد ,وتقوم علي فكرة أنّ العالم مكون من نور وخير وظلمة وشر وأن الإنسان يمتلك في دخليه جزء من النور محتجز داخل جسد مظلم وكان هذا المجتمع منظم ينقسم الي قسمين رئيسين "الكاملون" (Les Parfaits) ,وهم القادة الدينيون والذين يعيشون حياة صارمة ويتبعون ثلاث قوانين رئيسة ,أولا ختم الفم والتي تندرج ضمن , لا يقولون كلاماً سيئاً , لا يأكلون لحوماً و لا يشربون خمراً , تانيا ختم اليد , لا يعملون ولا يزرعون ولا يلمسون المال او الممتلكات, ثالثاً ختم الصدر هو أن لا يتزوجون وأن لا ينجبون الأطفال أما القسم الثاني هم "السامعين" (Les auditeurs) هم في الأغلبية يتبعون قواعد أخلاقية بسيطة مثل لا تقتل ,لا تزني, لا تكذب ,إنخرط أوغسطين في هاته الطائفة عام 373م كواحد من السامعين² ,وكان نظام هؤلاء الجماعة يقدمون تفسيراً لوجود الشرّ الأمر الذي بدى معقولا لأوغسطين³ , كما فسرو رؤية المسيح ككائن سماوي غير مادي, وأنه لم يولد حقاً من مريم, ولم يتجسد في جسد مادي, وأنه لم

¹ المناوية : مؤسسها ماني الذي ولد في جنوب بابل عام 216م تميزت هاته الديانة ب انتشارها الواسع بين الوثنيين خلال القرنين الثالث والرابع ميلادي كما جذبت اليها بعض المسيحيين الذين ابتعدوا عن تعاليم الكنيسة اعتمدت العقيدة المانوية على رؤية الشائبة للكون حيث تأمن بوجود الصراع الدائم بين قوتين متعارضتين قوة النور التي تمثل الخير والروح وقوة الظلام التي تمثل الشر والمادة هي ديانة زاهدة تدعو الي التحرر الامتناع عن كل ماهو مادي للمزيد ينظر إلى : روبن دنيال , كتاب , المرجع السابق , ص 263.

² Serge, Lancel Saint Augustin, op. cit, p 62

³ دنيال روبن، المرجع السابق, ص, 263

يصلب بشكل حقيقي , وكان المسيح بالنسبة للمناويين لديه أكثر من وجه واعتبروه تجلّي للضوء الإلهي , ويساهم في إنقاذ الأرواح من ظلمة المادة ¹ .

9-1 بين حزم الأم وجاذبية الجماعة: تجربة أوغسطين في طاغست بين الصراع الديني والدفء الوجداني 375م .

في عام 375م عاد أوغسطين الي بلدته طاغست وذلك بعدما أتم دراسته في قرطاجة راح يعمل كمعلم للبلاغة يعلم التلاميذ اللغة اللاتينية وآدابها ,وفن الخطابة ² , كان لقاء الأم بابنها متوتر وصعب فلم ترضي والده أوغسطين أن ترى ابنها يغوص أكثر في معتقدات المانوية الوهمية , حتى وصل بها الأمر إلى طرده من المنزل وأنها رافضة للعلاقة الغير الشرعية ,وابنه الغير شرعي ³ .

كانت مونيكا قد استعانت بأسقف مجاور , طلبت منه لقاء أوغسطين ومحاولة إرجاعه إلى طريق الصواب لكن هذا الأسقف كان من قبل من معتنقي المانوية في فترات شبابه يعرف جيدا أنها طائفة صعبة للمجادلة , ونصح أمه بأن تصلي من أجله ,مؤكدًا لها أنه سيصل في النهاية الي معرفة الحقيقة بنفسه وأكد لها في مقولة سوف تصبح لقبًا لابنها "لا يمكن أن يهلك ابن دموع أم مثلك" ⁴ .

¹ Serge, Lancel Saint Augustin, op. cit, p67

² القديس أغسطينوس، المصدر السابق ، الكتاب الحادي عشر , ص 265.

³ دانيال روين، المرجع السابق, ص 264 .

⁴ Serge, Lancel, Saint Augustin, op. cit, p70

في فترة إقامة أوغسطين في طاغست كان بصحبة رفقاءه الشباب رومانينوس و البيتوس¹ الذي كان يشعر برفتهم بنوع من الدفء، خاصة وانهم مرتبطين بنفس الأفكار والثقافة وكذلك العقيدة المانوية، وخلال هذه المرحلة استمتع أوغسطين بتلك الحياة ووصفها بأنها مرحلة تميزت بالحوار والضحك وتبادل المعرفة ووصفها بالروح الواحدة التي كتبها أوغسطين لاحقا عام 398م 397م²، كما وصف صداقتهم بأنها تملك روابط روحية، وقام بتمجيدها بقوله أن الصداقة تتحدد وتذوب في محبة واحدة³.

10-1 تجربة الفقد والصراع الداخلي بعد وفاة الصديق

ذكر لنا أوغسطين في كتابه الرابع عن فقدان أحد أصدقائه المقربين، ووصفها بأقصى لحظاته الروحية والوجدانية كان هذا الصديق بمثابة مرآة داخلية تعكس وجدانه، وعندما توفي شعر أوغسطين أن جزءاً من ذاته قد مات معه، وهذا الفقد قد ترك فجوة روحية داخله، في هذه الحالة من الانكسار، راودت أوغسطين أفكار انتحارية، ولم يكن يرى في إلهه الذي كان يؤمن به في ذلك الوقت أي عزاء أو رجاء.

¹ ألبيتوس Alipius: ينحدر من عائلة كريمة في مدينة طاغست يعد أصغر سنا من اغوسطين تتلمذ على يده في مسقط راسه ثم في قرطاج وقد شهد له اغوسطين بالذكاء والنبوغ منذ ان كان صغيرا كان شديد الاعجاب والتعلق ب اغوسطين اعتنق المذهب المنوي مثل القديس اغوسطين ثم لحق باغوسطين الي ميلانو اين شغل منصب مساعد قضائي ثم رجع معه الي افريقيا ليتولى تسيير شؤون كنيسة طاغست للمزيد ينظر إلى: القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب السادس، ص 107. 112.

² Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 70

³ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الرابع، ص 61، 62

رفض أوغسطين البقاء في طاغست، مسقط رأسه، الذي بات بالنسبة له الآن بمثابة جرح مفتوح، ولم يعد يرى فيه دفء الذكريات، خاصة بعد فقدانه لصديقه العزيز، كانت كل زاوية في تلك المدينة تهمس له بالألم، لا بالحنين، فغلب عليه شعور بالغرابة في المكان الذي وُلد فيه، فالحياة لم تعد تُطاق فيه، وصارت رغبته في الرحيل تتجاوز مجرد الهروب. لكنه وجد سندًا حقيقيًا في صديقه رومانيوس، الذي ساعده ماديًا، بالفعل، في عمره 22 سنة، غادر أوغسطين مجددًا إلى قرطاجة باحثًا عن آفاق جديدة، وربما أيضًا عن نفسه الضائعة.¹

1-12 زمن ظلال المانوية إلى نور الفلسفة: أزمة الإيمان وبوادر التحول الفكري عند

القديس أوغسطين

عاد أوغسطين إلى قرطاجة المدينة التي درس فيها سابقا ولكن هذه المرة كأستاذ للبلاغة (فن الخطابة و الإقناع)، شغل منصب رسميا ومحترما في التعليم العالي، كان هذا المنصب يتطلب كفاءة كبيرة، هذا المنصب كان يمنح فقط للأشخاص المميزين، ويتم إختيارهم من قبل مجلس المدينة، رغم أهمية هذا المنصب، لم يكن فخورا بعمله، ووصف نفسه أنه يبيع الكلام بينما هو نفسه كان ضائعا وضعيفا أمام نزواته، وشعر بأن ما يعلمه لا يحمل قيمة حقيقية، لكن مع مرور الوقت ترك

¹ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 72

هذا العمل وذلك بسبب إهمال بعض الطلبة في قرطاجة للدروس التي كان يقدمها¹ في هذه الأثناء، ظل أوغسطين متمسكاً بالمانوية لمدة تسع سنوات مؤمناً بتعاليمها².

ولكن خلال هاته الفترة بدأ يتأمل أفكار المناويين، لكنه ظل متقلبا في إيمانه حيث واجهته صعوبات وأسئلة معقدة لم يتمكن المناويين من الإجابة عليها، فكان دائما ردهم الأمور سوف تحل مع الوقت وذلك بظهور ماني المخلص³.

1-13 البحث عن الحقيقة بين فاوستس و أوغسطين:

حين بلغ أوغسطين عامه التاسع و العشرون شاءت الأقدار أن يلتقي بمدينة قرطاجة أحد أكبر رجال الطائفة المانوية يدعي: فاوستس⁴ الذي كان يعرف ببراعته في نشر تعاليم المانوية وقدرته علي الإقناع لم يكن هذا اللقاء مجرد لقاء عادي لأوغسطين بل كانت لحظات طال انتظرها إذ ظل قرابة تسع سنوات ينتمي إلى هذه الطائفة مستمعا إلى محاضراتها متأملا في أفكارها ومتعمقا في مبادئها، لكن رغم إنغماسه الفكري فيها إلا أنه ظلّ يحمل تساؤلات ملحة، فكريا لم يفلح أحد في تبديدها

¹ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 73

² القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الخامس، ص 84.

³ Amand Biechy, Saint Augustin de l'Afrique au Ve siècle, op. cit 720.

⁴ فاوستوس (Faustus) ابن حربيّ من نوميديا، اعتنق وآمن بمذهب المانوية، وصار أحد أعلامها. ذاع صيته بين المناويين بسبب فصاحته وتفوّقه في مختلف العلوم، إذ كان يمتلك مهارات لغوية عالية. للمزيد يُنظر إلى: خديجة زموري، مرجع سابق، ص

هنا رأى أوغسطين في قدوم فاوستس،¹ إلى قرطاجة فرصة لا تقدر بثمن إذ كان يطلع في هذا اللقاء على أمل أن يجد عند هذا الأسقف إجابات شافية لتساؤلاته المقلقة ويضع صراعا إلى حده الفكري والعقائدي، غير أن الواقع خذله فقد كشف منذ اللقاء الأول أنه رجل ذو إمام سطحي ببعض الفنون والآداب ويفتقر إلى العمق الفلسفي، والمنهجي الذي كان أوغسطين يبحث عنه بشغف فلم يجد الإجابات المقنعة في تساؤلاته، وهكذا خرج أوغسطين من هذا اللقاء وقد تبدد ما تبقي لديه من أمل في أن يجده في فاوستس أو أي أحد من أساقفة المذهب المانوي إجابات مقنعة عن الاعتراضات التي كانت تعصف بذهنه و بدلا من أن يزداد يقينا بالعقيدة التي أمضى فيها لسنوات بدأ يفقد ثقته فيها شيئا فشيئا، وكان هذا اللقاء المنعطف الحاسم في رحلته الفكرية و الروحية².

أصبح حماس اغوسطين يضعف شيئا فشيئا إتجاه المانوية خاصة بعد عجز أشهر أتباع ماني عن الرد عن أسئلته العميقة خاصة تلك المتعلقة بمصدر الشرّ في العالم، وهذا العجز دفعه في التشكيك في صدق هذا المذهب³.

يقول القديس أوغسطين: "تضمنت كتب المانوية خرافات لاحد لها عن الماء النجوم الشمس و القمر كما تمنيت لها لو يشرحا لي بدقة يقارن بيها بينا وبين سواها من الشروح المركزة علي الحساب التي إذ طلعت عليها في محل اخر لكي اري ان كانت المعطيات

¹ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الخامس ص 79

² جاريت ماثيوز، أوغسطين، ترجمة فؤاد زهري، ط1، آفاق للنشر والتوزيع، مصر، 2013، ص 26.

³ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الخامس، ص 86

الكتب المانوية افضل منها او علي الأقل ان كانت تشرح الحوادث الانفة الذكر شرحا مفصلا ومقبولا بيذا اني لم اعد اؤمن بمقدراته علي ذلك الامر.¹

بدأ أوغسطين يدرك ضعف الأساس الفكري لأتباع مايني مما عزز شكوكه تجاه عقيدتهم، مع ذلك إقنع بضرورة إنتظار فجر جديد يهديه الحقيقة الأفضل لهذا السبب إستمر للحفاظ علي علاقته المحدودة اتجاه المناويين حتى بعد إنتقاله إلى روما،² وهكذا قرر أوغسطين أن يبقا مانويا بالإسم فقط ربما يجد شيء أفضل منه ليتحول إليه.³

2. أبرز محطات حياته

1-2 التحول الداخلي في تجربة أوغسطين بين الندم والبحث عن الحقيقة

قرر أوغسطين مغادرة قرطاجة متوجها إلى روما وهي خطوة تعكس رغبته في الانفصال عن محيطه السابق بحثا عن حياة جديدة بعيدة عن القيود التي فرضها عليه إيمانه المسيحي التقليدي، علي الرغم من هذا القرار لم يعلن خطته هذه لأمه مونيكا بل خدعها واختار الرحيل بسرية تامة، كانت رحلته مليئة بالحزن والندم لأنه خدع أمه وهرب منها رغم توسلاتها إليه ألا يتركها، ووصف نفسه بأنه

¹ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الخامس، 85 - 86.

² نفسه، الكتاب الخامس، ص 86.

³ دانيال روبن، المرجع السابق، ص 265.

ملطخ بالأوساخ ويطلب التطهير من دموع أمه حيث كان يواجه صراعات داخلية أثناء رحلته إلى روما بين رغبة في الحرية وندم الذي سببه لأمه¹.

في خريف 383م وصل أوغسطين إلى روما وذلك في بداية عقده الثالث محملاً بطموحات فكرية وروحية كبيرة، وذلك بعد أن غادرا قرطاجة، حيث لم يجد ما يروي ظمأه المعرفي ولا ما يشبع قلقه الوجودي، كانت روما من الناحية الظاهرية المدينة التي لطالما سحرت العالم بجمالها المعماري وعظمة الإمبراطورية، لكن أوغسطين حين وصوله إلى قلب العالم الروماني لم يظهر أي إهتمام، ولا إنبهار معماري في أعماله كما فعل بعض شعراء عصره، لم تكن هذه الرحالة سهلة بالنسبة له فبمجرد وصله أصيب بحمى ومرض شديدة كادت أن تودي بحياته، كانت مدينة روما تعاني من كثافة سكانية خانقة ونظام صحي متدهور، رغم محاولات تحسينه من قبل المسؤولين لقد بدا له المجد الظاهري لروما يخفي تحته الكثير من الوهن، وهكذا لم يترك أوغسطين أي مديح مباشر إلى روما لافي "الاعترافات"، ولا في سائر كتاباته، ولكن ما نجده في كتاباته خاصة في كتاب "مدينة الله" هو محاولة لإعادة توجيه فكرة العظمة من روما الوثنية إلى رؤية مسيحية جديدة².

تعافى أوغسطين أخيراً من مرضه، وكان ذلك في بيت أحد أتباع الديانة المانوية، الذي إستضافه وساعده من الناحية المادية او الفكرية رغم أن أتباع المانوية كانوا مضطهدين في روما، ولكن جماعتهم استمرت في الوجود بقي معهم وشارك حياتهم اليومية، واختلط ببعض المنتخبين، ولكنه لم

¹ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الخامس، ص 88

² Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 90

يكن من السهل التأثير عليه أو كسب طاعته , بل كان يعمل على زعزعة إيمانهم بعقيدتهم المانوية كان بين الحين و الآخر يميل إلى استعادة إيمانه المسيحي الذي نشأ عليه في الطفولة , ولقد غمرته الفرحة أثناء لقائه بصديقه القديم ألبتوس¹ , الذي كان قد أعجب به في قرطاجة أثناء مناظراته الحادة مع المناويين لكن مع ذلك بقي أوغسطين يرى أن الفكرة الثنائية المانوية "الخير و الشر كقوة ثنائية كان يشعر أنه مثقل بتلك الأفكار , حيث كان يتخيل الخير و الشر علي شكل مواد ثقيلة تمنعه من الوصول إلى الروحانية الحقيقية² .

2-2 فلسفة الشك الأكاديمي في فكر أوغسطين

عند وصول أوغسطين إلى هذه المرحلة من البحث الفكري , أصبح حائرًا بين العقدين , فلجأ إلى الشك الفلسفي متأثرًا بالفلاسفة الأكاديميين الجدد , هم يرون أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الحقيقة الكاملة وأن الشك أفضل من اليقين المزيف رأى أوغسطين أن هؤلاء الفلاسفة أكثر حكمة من المانويين فمال إليهم مؤقتًا , اعتبر أن موقفهم من الشك هو الأنسب لحالته الفكرية³ , يقول في ذلك أن فلسفة الشك ولدت حينئذ قناعة مفادها أن فلاسفة الاكاديميين الجديدة هم أكثر فطنة من جميع الفلاسفة إذ أنهم يعتقدون أن كل شيء هو موضوع الشك و أن إدراك حقيقة الأشياء أمر

¹ ألبتوس: كان صديقًا مقربًا لأوغسطين في قرطاجة، شاركه الاهتمام بالفكر والبحث الفلسفي، وتأثر مثله بالمانوية لفترة. لكنه ساعده لاحقًا على تجاوزها، ورافقه في رحلته نحو الإيمان المسيحي، حتى نال معه المعمودية. شغل لاحقًا منصبًا قضائيًا وشارك في دعم الحياة المسيحية في شمال إفريقيا للمزيد ينظر إلى :خديجة زموري , المرجع السابق, ص , 72

² Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit., p. 91

³ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الخامس، ص 91.

يتجاوز قدرة البشر¹، في هذه المرحلة وجد أوغسطين في الفلسفة الأكاديمية، وخصوصاً كما قدمها للفيلسوف شيشيرون، ملاذاً مؤقتاً ينقذه من تيارات المناوئين التي كان لا يزال مرتبطاً بيها رغم محاولاته الانفصال عنها، هذه الفلسفة قد قدمت له موقفاً شكاكاً معتدلاً، يعترف فيها بصعوبة الوصول إلى الحقيقة المطلقة، هذا ما منحه مساحة كافية للتفكير بعيداً عن الأيدولوجيات الصارمة².

أوغسطين لم يتأثر فقط بمذهب الشك بل نقدهم و قام بالرد عليهم نجد "الرد على الأكاديميين" وخلاصة مفادها أن ثمة أشياء يمكن معرفتها في يقظتنا أحلامنا سواء بسواء و أبلغ شاهد على ذلك أننا نعرف بديهيات المنطق مسلمات الرياضيات ونعرف أيضاً عالمنا الظاهر و الأشياء تبدو لنا³.

أدرك أوغسطين أن طريق البحث عن الحقيقة صعبة جداً، وأنه يحتاج دليل إلهي ليهديه إلى الطريق الصحيح في كتابه ضد الأكاديميين نجد أنه مكان يعاني من الشكوك وهو يقرأ أفكار فلاسفة الأكاديميين، الذين كانوا يشككون في إمكانية الوصول إلى الحقيقة بشكل مطلق ولاحظ أن شكوك هؤلاء الفلاسفة ماهي إلا وسيلة لحماية الأفكار الروحية لأفلاطون من هجوم الفلاسفة الماديين، وفي

¹ جاريت ماثيوز، المرجع السابق، ص 33.

² Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit., p. 94

³ جاريت ماثيوز، المرجع السابق، ص. 42.

الأخير أدرك ان نواياهم أكثر تعقيدا مع الوقت بدءا يختلف معهم فالرأي¹, بين فترة 384م
 _385م سيطر الشك علي أفكاره حتي قراءة كتاب الأفلاطونيين المحدثين^{2 3} .

2-3 في ميلانو: الانفصال عن المانوية

إنتقل إلى ميلانو عام 384م ليعمل كأستاذ للخطابة⁴ تعتبر هذه الرحلة , من روما إلى ميلانو
 مرحلة حاسمة في حياة القديس أوغسطين , حيث انفصل نهائيا عن المانوية وذلك في نهاية 384م , فقد
 ساعدته هذه الفترة إلى اغلاق قوس من الأخطاء الفكرية والعقائدية , كان قد استمر فيها ما يقارب
 عشر سنوات عند وصوله إلى ميلانو كتب أوغسطين في ذلك مثلما كان يفسر موقف الأكاديميين
 "بدأ أشك في كل شيء , وأتأرجح بين جميع المذاهب الفلسفية , وقررت علي الأقل أن التخلي عن
 المانوية , لأني لم أعد أرى أنه من المنطقي و أنا في أزمة الشك أن أبقى داخل هاته الطائفة , وبدأت
 أدرك وجود مرتبة روحية و فكرية أسمى منها⁵ .

¹ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 95

² الأفلاطونيون المحدثون: (Les Néoplatoniciens) هو تيار فلسفي ظهر في القرن الثالث الميلادي, تأثر أصحابه بفكر
 أفلاطون, حيث قاموا بتطوير أفكاره وإضافة بُعد ديني وروحي إليها , ويُعد أفلوطين المؤسس الرئيسي لهذا التيار. تقوم الفكرة
 الأساسية لهذا المذهب على أن كل ما في الوجود يصدر عن كائن أعلى يُسمى "الواحد", وتسعى هذه الفلسفة إلى الربط بين
 العقل الفلسفي والتأمل الديني. للمزيد يُنظر: الأنبا إرميا, المسيح مجد الشهداء للقديس أغسطينوس, أسقف هيبو, تر: يوسف
 رزق, المركز الثقافي القبطي, ص 12.

³ Lancel Serge, *Saint Augustin*, op. cit, p 94

⁴ شارل أندري جوليان, المرجع السابق , , ص 105 .

⁵ Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 96

خلال هذه الفترة، مرَّ أوغسطين بأشدّ الأزمات التي عرفها في حياته، ورغم ذلك، ظلّ يشعر بانجذاب قوي نحو مغريات العالم من لذات ومال ومجد ومكانة اجتماعية. لم تكن هناك دموع توبة، ولا خضوع، ولا تواضع حقيقي،¹ وفي خضمّ هذه المرحلة، لفت أوغسطين انتباه سماكوس (Symmachus)، أحد أبرز أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، والذي كان يتولى منصب حاكم المدينة، وكان سماكوس وثنيًا، حريصًا على الحفاظ على الإرث الديني والتقليدي لروما.²

2-4 أوغسطين في البلاط الإمبراطوري: الطموح المهني ومقدمات التغيير الوجودي

في خريف سنة 384م، عُيّن أوغسطين في منصب أستاذ البلاغة في مدينة ميلانو، لكن قبل تعيينه، خضع لاختبار كفاءته من قبل سماكوس، حاكم المدينة، حيث قدّم له خطابًا تجريبيًا، كما يروي أوغسطين نفسه في الاعترافات³ وصف أوغسطين مدينة ميلانو بأنها تتمتع بموقع إقتصادي متميز، فتعتمد بشكل كبير الزراعة وتربية المواشي خاصة في سهول وشمال إيطاليا⁴ لم يكن يفكر أوغسطين في هاته الفترة في مستقبله الروحي، كان كلّ جلّ تفكيره مشغولا بعمله الجديد كأستاذ للبلاغة، حيث انطلقت السنة الجامعية، وبدأ يظهر في منصبه الجديد كخطيب رسمي للبلاط وكانت

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 305

² Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit, p 19

³ Ibid, p98

⁴ ibid p 98

المناسبة الأولى 22 نوفمبر 384م بمناسبة الذكرى العاشر لتتويج الإمبراطور فالنتينيان الثاني¹ , بما يعرف بالاحتفالات العشرية (Decennalia)² .

في هذه المرحلة من حياة القديس أوغسطين عاش بين ميلانو وروما راح يحمل طموحات كبيرة ورغبة قوية في التقدم الاجتماعي والمهني , حيث لم يكن هدفه وظيفية فقط بل ينظر إليها على أنها وسيلة توصله إلى مناصب أعلى,³ خلال هاته المرحلة لحق بأغوسطين صديقيه المقرب ألبيتوس في مدينة ميلانو وذلك بعد أن أنهى دراسته في القانون بمدينة روما , وتولى منصب إداريا هاما كمساعد لأحد كبار الموظفين الإمبراطورين المكلفين بالشؤون المالية في كل من إيطاليا وأفريقيا⁴ , وصديق ثالث يدعى نبريدوس الذي ترك موطنه وكل أملاكه في مدينة قرطاجنة واتجه إلى ميلانو باحثا عن الحقيقية و

¹ الإمبراطور فالنتينيان الثاني: (Valentinianus II) وُلد عام 371م، ونُصّب إمبراطورًا وهو في سنّ صغيرة، لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمره. تولى العرش رسميًا سنة 375م، لكن الحكم الفعلي للإمبراطورية كان بيد والدته جستينا، التي لعبت دورًا سياسيًا بارزًا خلال فترة وصايتها عليه. كانت جستينا تنتمي إلى المذهب الآريوسي، وهو ما أدى إلى نشوب صراعات حادة مع الكنيسة الكاثوليكية، خاصةً مع الأسقف أمبروزيوس في ميلانو. عاش فالنتينيان الثاني في ظلّ انقسامات سياسية وعقائدية عميقة، وانتهت حياته بشكل مأساوي سنة 392م، حيث وُجد ميتًا في قصره في ظروف غامضة. للمزيد، يُنظر إلى : Serge Lancel, Saint Augustin, op. cit., p. 98

² Lancel Serge, Saint Augustin, op. cit p 99

³ ibid, p 102

⁴ Ibid., p. 202

الحكمة¹. خلال هاته الفترة مر اغوسطين بأقسى و أكثر أزمات حياته ,ولكنه بقي يشعر بالانجذاب الي مغريات العالم من متعة ومال ومجد ومراكز لم تكن هناك دموع او خضوع او تواضع² .

2-5 إعتناق أوغسطين المسيحية وسفره إلى هيبو:

بادر أوغسطين، فور وصوله إلى مدينة ميلان، بقاء أسقفها أمبروز³، الذي استقبله بحفاوة وود بالعين، وهو ما ترك في نفسه أثراً عميقاً منذ اللحظة الأولى وقد عبّر أغسطين عن هذا اللقاء في الاعترافات بأسلوب ينم عن تقدير بالغ وإعجاب كبير بشخصية أمبروز⁴

تأثر أوغوسطين كذلك بخطاب هذا القديس ، الذي جمع بين البلاغة والعمق اللاهوتي، مما زعزع قناعاته السابقة وخاصة المانوية. وجد في الأفلاطونية، كما فسرها بورفيرْيوس (Porphyrius)، تمهيداً عقلياً لفهم الإيمان المسيحي ,غير أن تحوله لم يكن مجرد اقتناع فكري، بل جاء نتيجة لصراع روحي عميق، بلغ ذروته عندما سمع صوتاً يدعوهُ إلى قراءة الكتاب المقدس، فكانت لحظة فاصلة قادتة إلى اعتناق المسيحية، والبدء في مسار جديد من النسك والتفرغ للبحث عن الحق. في سنة 386م، اعتنق أوغسطين رسمياً الديانة المسيحية على يد القديس أمبروز، بعد مسار طويل من البحث والتردد الفكري والروحي, وإثر هذا التحول، قرر الانسحاب من الحياة العامة ليعيش نمطاً

¹ القديس أغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب السادس ص 113

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص 305

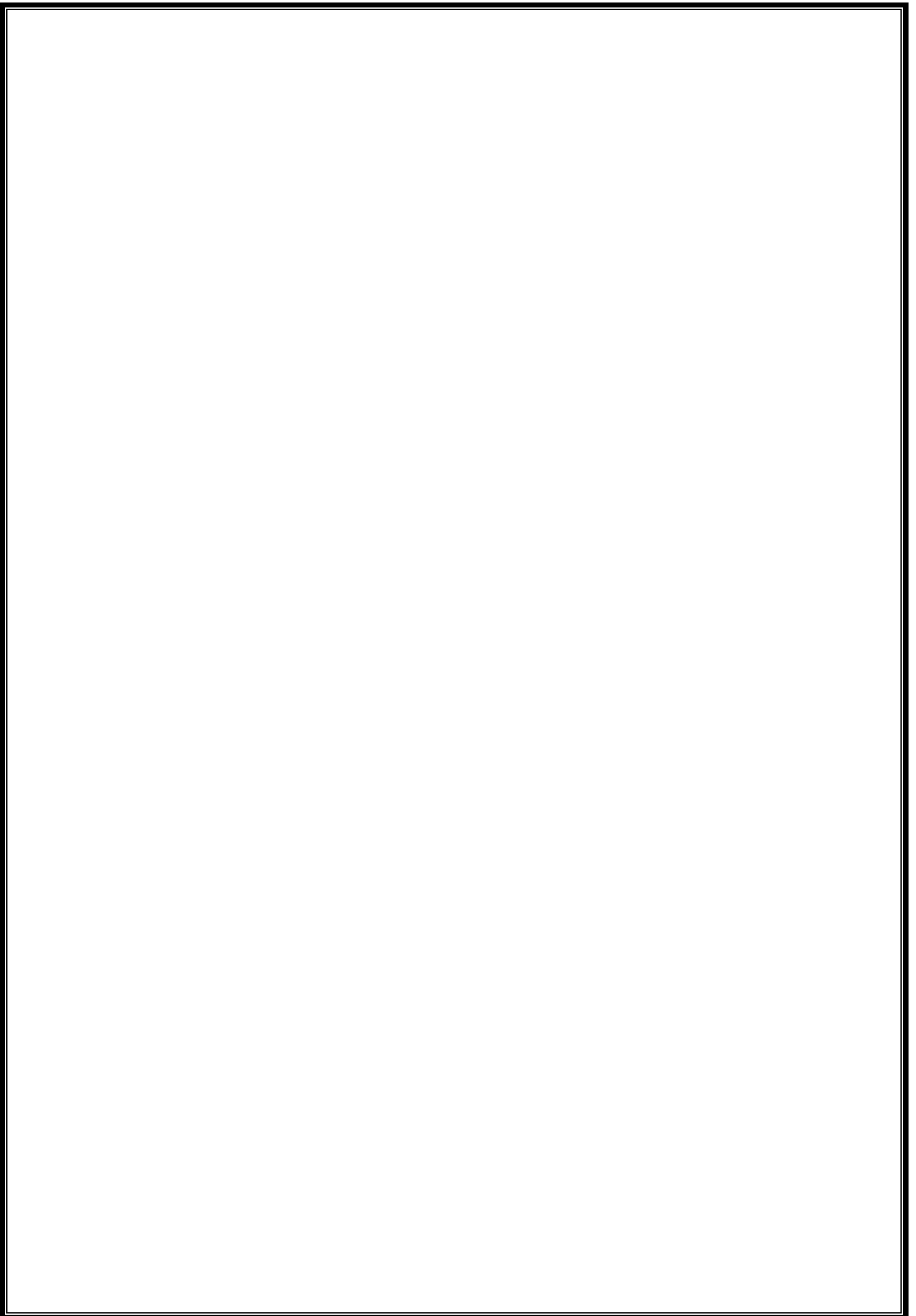
³ أمبروز : (Ambrosius) وُلد في بلاد الغال حوالي سنة 240م، في أسرة رومانية عريقة درس القانون والأدب اللاتيني واليوناني في روما. وعندما شغل منصب رئيس أساقفة ميلان سنة 274م، نال تأييداً جماعياً واسعاً، كرّس حياته لخدمة الكنيسة، وأثبت في الوقت ذاته ولاءه للإمبراطورية الرومانية، تُوفي سنة 397م. للمزيد يُنظر إلى : خديجة زموري، " المرجع السابق ,ص, 71

⁴ القديس أغسطينوس ، المصدر السابق. الكتاب السادس , ص 98

قريبًا من الرهينة برفقة عدد من أصدقائه، غير أن رحلته نحو الاستقرار الروحي شهدت لحظة مؤثرة بوفاة والدته مونيكا أثناء عودته إلى إفريقيا. وفي سنة 391م، توجه إلى مدينة هيبو¹ (عنابة الحالية)، حيث تم تعيينه كاهنًا، لبدأ مرحلة جديدة في حياته الكنسية. ألقى أوغسطين أولى عظاته انطلاقًا من نصوص الإنجيل، ومنذ ذلك الحين كرس جهده للدفاع عن الكنيسة وتعاليمها، سواء عبر الخطابة أو الجدل اللاهوتي.²

¹ هيبو: أو كما تُعرف تاريخيًا بـ هيبو ريجيوس (Hippo Regius)، من أقدم المدن الجزائرية، نشأت خلال الفترة القديمة كمجتمع يضم تجمعات بشرية فاعلة منذ الألف الأول قبل الميلاد. ازدادت أهميتها خلال المرحلة البونية والرومانية، حيث أصبحت مركزًا اقتصاديًا وتجاريًا وسياسيًا مهمًا. حظيت المدينة بمكانة رومانية كاملة الحقوق في القرن السادس ق.م، مما منح سكانها امتيازات قانونية واجتماعية. عُرفت هيبو بكونها مدينة رومانية مميزة يسكنها مواطنون يتمتعون بكامل حقوق المواطنة. في أواخر القرن الأول الميلادي وحتى بداية القرن الثاني الميلادي، أصبحت المدينة قاعدة مهمة في شمال إفريقيا، لا سيما مع وجود الأسقف أوغسطين، الذي زاد من أهميتها الدينية والفكرية في العالم المسيحي. للمزيد ينظر إلى: محمد، وابل، "الأسقف أوغسطين والمجتمع في مدينة هيبو"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، ع 3، م 10، الجزائر، 2021، ص. 431.

² ليلي رامي، "الاعترافات للقديس أوغسطين والمنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي: دراسة مقارنة"، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، ع 16، 1446هـ، ص. 194.



الفصل الثاني: أوغسطين والمسيحية

المبحث الأول: تحوُّله الديني واعتناقه المسيحية

المبحث الثاني: القديسة مونيكا وتأثيرها

المبحث الثالث: أوغسطين بين طاغست و هيبو

3. تحوله الديني واعتناقه المسيحية

قضى أوغسطين جزءا من شبابه في البحث عن الحقيقة, ومنجذبا الى التيارات الفكرية والدينية المختلفة, وبعد سنوات قضاها في قرطاجة قرر الانتقال الى روما عام 383م, املا في نيل مكانة أكاديمية أفضل, املا في نيل مكانة أكاديمية أفضل, وتحقيق طموحاته المهنية, لم يكن هذا الانتقال مجرد خطوة مهنية, بل كان يحمل في طياته صراعا داخليا, خاصة وانه غاد خلسة, مخالفا رغبة والدته مونيكا¹, لكن الحياة في روما لم تسر كما كان يتوقع, حيث لم يمض عام على أوغسطين في روما حتي اكتشف أن أساليب الطلاب في روما لم تكن ممتعة كما كان يعتقد, حيث تبين ان سلوك هؤلاء الطلاب لا يختلف كثيرا عن سلوك نظرائهم في قرطاجة, رغم انهم كانوا أقل خشونة ووقاحة, غير ان سلوكهم تمثل في التحايل على الاستاذة, اذ كانوا ينتقلون بين الدروس دون تسديد الرسوم, وهذا ما تسبب في معاناة مهنية واقتصادية للمعاملين, أدي إلى شعور أوغسطين بالإحباط وفقدان الأمل, لكن سرعان ما جاءت فرصة التي كان أوغسطين ينتظرها وذلك عندما التقى, سيماكوس (Symmachus), حاكم روما, طالبا من مدينة ميلان لتعين أستاذا للخطابة لملء منصب شاعر, نظمت مسابقة رسمية أشرف عليها سيماخوس بنفسه, هو خطيب بارز في ذلك الوقت, شارك أوغسطين في المسابقة وتمكن بالفوز فيها, كانت هذه الوظيفة مرموقة, وكانت ممولة من طرف الدولة وكان لها طابع رسمي مميز, خاصة ان الإمبراطور فالنتينيان (Valentinianus) كان

¹ دانيال روبن، المرجع السابق، ص 107

يقيم في ميلان, ما أضاف علي المدينة أهمية سياسية وثقافية¹, كان سيماكوس يهدف من توصيته لأوغسطين إلى دعمه في مناظرة ضد أمبروزيوس أسقف مدينة ميلان الشهير , اذ رأى فيه الشخص المناسب لمواجهة نفوذ كنيسة ميلانو , خاصة وانه يمتلك قدرات بلاغية متميزة , جعلته يكون صوتا مؤثرا في الدفاع عن فكر الوثني.²

¹ Alice Forbes, Saint Monica Model of christian mothers, Tan Books, 1998,P
50

² دانيال روبن، المرجع السابق، ص, 248.

3-1 أثر لقاء أوغسطين بأمبروز في تحوله الفكري

بادر أوغسطين بملاقاة الاسقف أمبروز فور وصله إلى مدينة ميلان, الذي استقبله بحفاوة وود , فكان لهذا اللقاء أثر فوري في نفسه , حيث استقبله بحارة وود , فكان لهذا اللقاء أثر فوري في نفسه.

وصف أوغسطين لقاءه الأول للقديس امبروز في كتابه الاعترافات بأسلوب يظهر بالاحترام الكبير و الاعجاب بقوله "عندما وصلت الي ميلان ,توجهت إلى أسقف المدينة الشهير , أمبروز , ووجدته رجلا لطيفا ومضيفا للغاية , كانت أحبه كثيرا , في البدء لا لشي لفصاحته , التي كانت مشهورة جدا , لكنني سرعان ما بداء أحبه كرجل صالح , لقد رحب بي كأب. "¹

بدأ أوغسطين يحضر مواعظ أمبروز بشكل منتظم، مدفوعًا بإعجابه الأول بفصاحة الأسقف وبلاغته الخطابية. مع تكرار الحضور، أدرك أن المديح الذي نُسب إلى أمبروز لم يكن مبالغًا فيه , كان يشرح تعاليم الكنيسة ويتحدث بوضوح وبساطة, موجّهًا كلامه إلى كل من العقل والقلب, في هذه اللحظة، بدأ أوغسطين يعيد النظر في معتقداته السابقة، متسائلًا إذا ما كان المانويون قد خدعوه أو كذبوا عليه بخصوص تعاليم الكنيسة، أو ربما كانوا هم أنفسهم يجهلون الحقيقة, فقد وجد تعاليم أمبروز سامية ونبيلة.²

¹ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب السادس، ص 98

²Alice Forbes, Sainte Monique, op. cit., p 51.

في تلك الاثناء قررت مونيكا الالتحاق بابنها أوغسطين في مدينة ميلانو ومدفونة برغبتها العميقة في مواصلة دعمه الروحي والمعنوي , كانت أولى زيارات مونيكا أثناء وصولها الي ميلانو مخصصة للقاء الأسقف المدينة الشهير أمبروز , وقد تميز هذا اللقاء بالانسجام الفوري بين شخصيتين نبيلتين , جمعت بينهما الروحانية العميقة والفهم المتبادل , عندما التقى أمبروز بأوغسطين بعد عدة أيام من ذلك اللقاء , خاطبه بقول : "أحمد الله لأنه منحك مثل هذه الأم , فهي لا نظيرة لها " , معبر عن بذلك تقدير الكبير لمونيكا وتقوها , خلال هاته المرحلة , اعربت مونيكا عن سعادتها البالغة أثر علمها بانفصال ابنها اغوسطين عن تعاليم المانوية , وقد اعربت عن يقينها الراسخ بأنه سيعتق العقيدة الكاثوليكية قبل وفاتها¹ , يوثق أغوسطين هذا الحدث في الاعترافات بقوله : "هكذا كانت تحدثني , لكنها زادت من صلواتها و دموعها أمامك , يا ينبوع الرحمة , متضرعة اليك أن تسرع بالعون و تبدد ظلامي " ² .

تأثر أوغسطين بشكل بالغ بفصاحة القديس أمبروز وعمق خطابه , الذي فاق بكثير ما كان قد عرفه سابقا لدى فاوستس , الذي لم يكن يضاهيه لا في المنهج و لا التأثير , مع مرور الوقت , بدأ أوغسطين يدرك أفكار أمبروز اللاهوتية , التي كانت معقولة و متماسكة , هذا ما ساهم تدريجيا في

¹Alice Forbes, Sainte Monique, op. cit., p 51

² القديس أوغسطينوس, المصدر السابق, الكتاب السادس , ص 98

تعديل موقفه اتجاه الأيمان المسيحي،¹ خاصة أنه اعتاد علي انتقاد المسيحين بسبب تصورات خاطئة عنهم ، ومع هذا الادراك بداء يشعر بالخجل انه كان متسرعا في احكامه.²

أشار أوغسطين ألي هذا الحدث في الاعترافات : " ولما ادركت ان ابناءك الروحانيين ، الذين جددت صورتهم بالنعمة في كنيسة الكاثوليكية ، لم يفهموا كلامك علا وجهي احمر فرحا ، لم أشك في جوهرك ، لكوني نبحت طوال تلك السنوات عدة ضد الاشباح التي والدتها الخيالات اللحمية ، لا ضد الايمان الكاثوليكي ، كم تجاسرت وكم كفرت ، يوم اعتبرت ذلك التعاليم خطيئة فأثمته بدل أن ابحت عنها بدقة " .

تأثر أوغسطين بالعمق العلمي لأمبروز وثقافته الواسعة، فقد كان رجل دين بارزاً وسبق له أن نال شهرة كبيرة كحاكم ناجح لمدينة ميلانو، حتى اعتنق المسيحية في الثلاثين من عمره، لم يكن رجل دين عادياً، بل كان ملماً بالفلسفة والآداب اليونانية، ويُعد أول من حصل على لقب "معلم اللاهوت" في الكنيسة الكاثوليكية. وجد أوغسطين في هذا الرجل ما لم يجده في معلمي قرطاجنة، فأعجب به وبدأ يحبه³ ، كان امبروز رجلاً رائع يتعامل مع القضايا بصدق ووضوح يواجه التحديات مباشرة بعكس اغوسطين الذي كان يبحث عن حلول وسط ترضيه بنما كان امبروز يدعو الي أفعال

¹ حديجة زموري، المرجع السابق، ص 89

² دانيال روبن، المرجع السابق، ص، 268

³ ماثيوز جاريت، المرجع السابق ، ص 27

الخير الحقيقية وهنا ادراك أوغسطين انه عليه مراجعة نفسه و موقفه¹ , إلى جانب كل هذا كان أوغسطين يقرأ كتب الفلاسفة المحدثين الذي ترجمة بواسطة معلم يدعي فيكتوريانوس² (victorinus) الذي كان معلم مترجماً للكتب الاغريقية فأعطي اهتماماً كبيراً لهاته الكتب التي سمحت له ان يدرك طبيعة الخالق و الروح³, وأن الحقيقة ممكنة، وأن الله هو الكائن الأسمى واللامتناهي والأدبي، وهو النور. ويرى أن الشر ووجوده يكون أحياناً نتيجة لإرادة البشر الحرة. وكانت هذه نقطة تحول بالنسبة للقديس أوغسطين، إذ استطاع أن يستفيد من فلاسفة الأفلاطونية بطريقة إيجابية، من خلال تصحيح أفكاره ومعتقداته عن الخالق.⁴

3-2 نقاشات ميلانو وبوادر التحول :

خلال اقامته في ميلانو , أحاط أوغسطين نفسه بمجموعة من الاصدقاء المقربين الذين اهتماماته المتزايدة بالبحث الفلسفي والديني عن الحقيقة ,ضمت هذه المجموعة كل من أليبيوس (Alypius) وصدقه المقرب رومانيونس (Romanianus) وأبنة ليستيوس (Licentius) ,الي جانب تريجيبيوس (Trygetius) و نبريديوس (Nebridius), الذي سبقه في قرطاجة ,وقد اتفق هذا الجمع على

¹ دانيال روبن، المرجع السابق، ص, 266

² فيكتوريانوس victorinous: ينحدر من أصول افريقية ,درس البلاغة في روما ,كتب وترجم العديد من كتب الفلاسفة ,له نصب تذكاري في ساحة الفوروم ,بالإشادة كمقدرته كمعلم ,كان وثنيا ولكنه اعتنق المسيحية في سن متأخر من حياته للمزيد ينظر إلى : خديجة زموري ,المرجع السابق ,ص , 87

³ على زيغود , المرجع السابق , ص 240

⁴ خديجة زموري ,المرجع السابق , ص 88

تخصيص وقت يومي للقراءة و النقاشات الفكرية , مع اعتبار الكتاب المقدس جزءا اساسيا من هذه المطالعات .

كتب أوغسطين : "لقد بزغ أمل عظيم , فالإيمان الكاثوليكي لا يعلم ما كنا نظنه ونلومه عليه ظالما , فالحياة باطلة , والموت غير مؤكد , و اذا جاءنا فجاءة , في أي حال سوف نرحل عن هذا العالم ؟ وأين سنتعلم ما أهملناه هنا ؟ فلا ينبغي أن نأجل السعي وراء الله و الحياة المباركة . " كان في ميلانو قسيس قديم يدعى سيمبليسيانوس (Simplicianus) , محبوب جدا لدي القديس أمبروز , لا نه كان معلمه ومرشده في شبابه , سعى أوغسطين الي لقاءه أملا في التوجيه و النصح , وشارك معه قراءته لكتاب فلسفي مترجم للكاتب الروماني فيكتورينوس (Victorinus) , لكن سيمبليسيانوس أوضح أن السيرة الذاتية لحياة فيكتوريانوس (Victorinus),الذي كان فيلسوفا و خطيبا وثنيا قبل اعتناقه المسيحية ,تحمل ن العبر ما يتجاوز أي نص مكتوب ,وقد كان فيكتورينوس حسب رواية سيمبليسيانوس , من اعلام البلاغة في روما ,عرف بفضله حتى اقيم له تمثال في ساحة الفوروم , غير أن تحوله المسيحي شكل نموذج حيا لتلاقي العقل و الايمان , هذ مترك أثر بليغ في نفس أوغسطين.¹

¹ Alice Forbes, Sainte Monique, op. cit., p53

كان أوغسطين يقيم عند صديقه البيتوس (Alipius) ¹ وقد بدأه ملامح التحول الداخلي تلوح في نفسه لكن التردد و الخوف, من التغيير الكامل كانا لا يزالان يعقانه ,وذات يوم زراها صديق من البلاط الإمبراطوري يدعى يدعى بنتاكيانوس رجل مسيحي ملتزم جاء يجمل معه قصة ستوقظ نار كانت مشتعلة تحت رماد في قلب أوغسطين اثناء زيارته لمح بتكيانوس كتابا علي احدي طاولات عندما اقترب منه اكتشف انه كتاب يضم رسائل بولس الرسول اندهش قائلا " لم اكن أتوقع ان اجد مثل هذا الكتاب لديك " , فقد ظنه في بداية الامر احد الكتب الفلاسفة او من احدي كتب البلاغة التي اعتاد ان يرها عند أوغسطين لا كتابا مسيحيا فابتسم فعبر عن سعادته ثم بداء بالحديث عن اثر الايمان في حياة البعض وخصوصا عن من عرفهم عن قرب روى لهما قصة عن الرجال الذين تركو كل شيء وراءهم وذهبوا الي الصحراء لتكريس حياتهم الي الله البيتوس و أوغسطين لم يسمعوا عن هاته القصة من قبل ولكنهم تركت اثرا بالغا لم تكن القصة مجرد ناسك متعبد بل مرآة تعكس ما كانا يفتقدانه من شجاعة و طهارة وسلام داخلي , ثم أضاف بتاكيانوس انه احد أصدقائه وجد كتاب يحكي عن حياة القديس أنطونيوس ² وبعد ان قراه أصيب باضطرابات شديدة سلم الكتاب الي صاحبه قال له بحسرة وندم ما اللذين نأمله من هاته الحياة من مناصب؟ من شهوات ؟ اننا

¹ خديجة زموري , المرجع السابق , ص , 90

² أنطونيوس Antonius: ولد الراهب أنطونيوس في مصر حوالي سنة 215م، وعاش حياة الزهد والتسك في صحراء مصر الشرقية، حيث اشتهر بالحكمة والتواضع، وسرعان ما ذاع صيته في أرجاء الإمبراطورية الرومانية. ترك أنطونيوس مجموعة من الرسائل الروحية، من بينها رسائل وجهها إلى الأباطرة الرومان، دعاهم فيها إلى التحرر من الغرور المرتبط بالمجد والسلطة، وحثهم على الحكم بالعدل والمساواة. كما وجه رسائل أخرى إلى الرهبان، نبههم فيها إلى خطر المذهب الأريوسي. توفي سنة 356م، تاركا أثرا كبيرا في تقاليد الحياة الرهبانية. للمزيد، يُنظر: , خديجة زموري, المرجع السابق , ص 91

نضحى بكل شيء من اجل لأشياء بينما أولئك الذين في الصحراء قد وجدوا كنزا حقيقيا بخدمة الله وحده ¹ كلمات هذا الرجل و قصة انطونيوس لقد هزت قصة أنطونيوس أوغسطين من الأعماق لم يعد قادرا علي تجاهل الصراع الذي كان يمزقه من الداخل لقد رأى بوضوح كيف ان رجلا لم ينالوا تعليمه ولا مكانته الفكرية وقد سبقوه الي طريق الخلاص ,ولقد شعر بالتحلل من نفسه , من ضعفه وتردده , نظر الي صديقه البيتوس وفي عينه نظرة اضطراب وقال بمرارة , " ما بنا نحن ؟ ماذا تعني لنا هاته القصة؟ هؤلاء لم يحصلوا على تعلمنا, ولا ثقافتنا, مع ذلك سبقونا الي الله", شعر أوغسطين انه بحاجة إلى الانفراد بنفسه اتجه إلى حديقة إلى جانب منزله جلس تحت شجرة تين وبدأ يبكي بحرقة ويقول " لم أعد املك نفسي انفجرت باكيا وسقطت ارضا تحت الشجرة, وأطلقت العنان لدموعي التي انهمرت بغزارة من عيني ".

كان يشعر بانه لايزال مقيدا بخطاياها عاجزا عن الخلاص فتفجره في اعماقه أسئلة مؤلمة "الي متي سابقي او جل التوبة؟ الي الغد؟ ثم الي الغد الاخر؟ لماذا لا انهي الامر الان لماذا لا اضع حدا لخطاياي في هاته اللحظات بذات ؟², وفي قمة بكائية، بنما كان الحزن ميلاء قلبه والأسى يخنقه، سمع فجاءة صوت طفلا او طفلة من بيت مجاور يقول له "خذ واقراء , خذ واقراء", " Tolle lege", استحضر أوغسطين في تلك تجربة القديس أنطونيوس الذي لجأ الي الكتاب المقدس بحثا

¹ دانيال روبن، المرجع السابق، ص 269

² القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الثاني ص 45

عن اجابة , فأقتدى بيه و وعاد الي صديقه ألبيتوس , ثم فتح الكتاب المقدس عشوائيا , فوقع نظره على الآية:

من كتاب رسالة بولس الرسول ¹ , وقراء أول فقرة وقعت عليه ²: "لا بالبطر ولا السكر لا بالمضاجعة والعهر لا بالخصام والحسد بل البسوا يسوع المسيح ولا تهتموا بالجسد لقضاء الشهوات" ³

لم يحتاج إلى القراءة المزيد فما أن انهي جملة , حتي شعر بنور الايمان يفيض قلبه ينقشع به ظلام الشك و الصراع الطويل امتلاء بسلام عميق , لم يعرف من قبل وأدرك أن اللحظات التي كان يهرب منها طويلا قد وصلت أخيرا اخبر البيتوس , بما حدث فطالب صديقه ان يري الفقرة بنفسه قراها و تأمل فيها وشعر هو الاخر ان هناك قبولا في المسيح حتي لرجل مثله , رجلا كان يحمل ماضيا ثقيلا بالضعف و التردد في تلك الساعة انتهي الصراع المرير في قلب اغوسطين , لم يكن يعرف ما ينتظره من تحديات مستقبلية وأدرك ان الحياة مع المسيح مهما كانت صعبة لا يمكن أن تكون أقسى من

¹ بولس الرسول : الذي يعرف قبل ايمانه ب اسم شاؤول الطرسوسي هو أحد أبرز شخصيات العهد الجديد في الكتاب المقدس يعد من اهم رسول المسيحية بعد يسوع المسيح كتب بولس 13 رسالة في العهد الجديد استشهد في روما في عهد الإمبراطور نيرون للمزيد ينظر الى : إسماعيل، عثمان صديق. "بولس الرسول المؤسس الحقيقي للمسيحية الحالية (حياته، أفكاره، تأثيره على المسيحية)" مجلة المحكمة الإنسان والمجال، ع 40، أكتوبر 2016، الجزائر، ص 42

² Alice Forbes, Sainte Monique, op. cit., p56

³ الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الإصحاح 1، الفقرتان 13-14، منشورات دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط6، القاهرة، 2004.

الحياة بدون ,وهكذا قال في تأمل: "لقد خلقنا لك يارب و قلوبنا لن تجد سلامها الا فيك"¹, في لحظة فارقة من التحول ,التفت أغوسطين نحو ألبتوس ,وقد استقر في قلبه القرار المصيري الذي طالما تردد فيه , وبعد أن وضع علامة بعناية علي الموضوع الذي بلغه في كتاب المقدس ,جلس الي جانب رفيقه ألبتوس ,وبصوت ينم علي اليقين الجديد ,اخبره بعزيمة علي اتباع الطريق الالهي الذي بدا له جليا في تلك اللحظة , حينها لم يقف البتوس موقف المفرج , بل بادر في السؤال ,وقد تملكته رغبة في أن يكون له نصيب في هذا النور الجديد : "ماذا عني ؟ لعل في هذا الموضوع ما يتوجه الي أيضا ,دعني أرى " ,فأخذ الكتاب من يد أغوسطين وفتحه علي الصفحة ذاتها ,فوقع نظره علي الكلمات التالية "الضعيف فالإيمان تقبلوه " ,وما أن تلاها حتى قال بثقة هادئة وقال "هذه الآية تليق بي كل اللياقة ".في تلك اللحظة , شعر كلاهما أن الله قد خطبهما بشكل شخصي , وأن الكتاب المقدس لم يكن مجرد نص عام ,بل رسالة حية تمس قلوبهما ,بعد ذلك تذكر أغوسطين مونيكا , التي طالما دعت من أجله وبكت كثيرا رجاء في هدايته ,شعر بأنه يجب أن يخبرها بما حدث دون تأخير ,فهي تستحق ان تشاركه هذه الفرحة .²

3-3 معمودية أغوسطين :

مع اقتراب زمن الصوم الكبير، عاد أوغسطين إلى ميلانو ليُتم الاستعدادات النهائية لمعموديته تحت إشراف القديس أمبروز، أسقف المدينة. وقد نال سرّ المعمودية في ليلة السبت المقدّس السابقة

¹ دانيال روبن، المرجع السابق، ص,ص 270

² Alice ,Forbes, Sainte Monique, op. cit., p,57, 51

لعيد الفصح، إلى جانب صديقه أليبيوس، فغُسلت خطاياهما القديمة بالماء المقدّس، في لحظة شكّلت تنويجًا لمسيرة طويلة من التوبة والرجوع إلى الله، وفي صباح يوم الفصح، ركع أغوسطين أمام المذبح ليشترك في الإفخارستيا (Eucharistia)، للمرة الأولى، وكانت والدته القديسة مونيكا واقفة إلى جواره، تغمرها مشاعر الشكر والفرح، وقد تحققت أمنيتها الكبرى، واستجيب دموعها وصلواتها بعد سنوات من الرجاء المثابر¹.

وصف أغوسطين شعوره أثناء المعموديته في كتابه "الاعترافات" بأسلوب وجداني عميق يحمل أبعادًا روحية ونفسية معبّرة، حيث شعر بفرح عميق وطمأنينة روحية. قال أغوسطين: "اعتمدنا وزال عنا قلق الحياة الماضية. لم أشبع من التأمل في عظمة رحمتك، يا رب، ولا تعبت من تقديم التهليل لك. كانت قلوبنا منفتحة، يا ينبوع الحياة الحي، وكانت تغمرنا ينابيع النعمة، مع ألبيتوس، ومع ابني الجسدي الذي كان ابنك الروحي"².

¹. Alice Forbes, The Life of Saint Monica, London: R. & T. Washbourne, 1919, p. 105.

² القديس أوغسطينوس المصدر السابق، الكتاب التاسع ص 177

4. الشخصية التي أثرت في القديس أوغسطين :

في رحلة القديس أوغسطين من الضياع إلى القداسة، لم تكن الفلسفة أو البلاغة ولا حتى الكتب المقدسة هي من قادتته إلى الله، بل كانت هناك روح صامدة ، مثابرة، تبكي وتصلّي في الخفاء لسنوات طويلة، إنها أمه القديسة مونيكا.

1-4 مولدها و نشأتها :

وُلدت القديسة مونيكا عام 332م بمدينة تاغست لعائلة مسيحية. ومنذ صغرها تربّت على الطاعة والخشوع، وتشكلت ملامح روحها في كنف التقوى ومخافة الله¹ وقد أشار القديس أوغسطين في اعترافاته إلى أثر نشأتها الورعة في تشكل روحها المؤمنة منذ نعومة أظفارها، بقوله: "على الفضيلة والقناعة تربت، وقد أخضعتها أنت لوالديها يا رب".² وهذا تعبير عن تواضعها وخضوعها لإرادة الله. ووصفها كذلك بالتقوى والإيمان في قوله: "كانت يا رب، عبدتك الأمانة... كانت تقية، وتقرأ كتبك، وتكرس لك قلبها، وتحيا في الصلاة، والبكاء، والتأم"³.

كما كانت الزوجة الحكيمة والصبورة، إذ عُرفت بصبرها الشديد في التعامل مع زوجها الوثني باتركيوس ، وقد ذكر القديس أوغسطين أنها كانت تخضع لزوجها بإخلاص، متحملة قسوته وصراخه دون أن ترد عليه بالإهانة، بل كانت دائماً ترد عليه بهدوء، وعلى قسوته بالصلاة، مما أكسبها

¹ محمد العيد تيلي ,نجاة رزوق , المرجع السابق ص 60

² القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب التاسع ص 175

³ نفسه، الكتاب التاسع، ص 184

احترامه مع مرور الوقت، وقادته إلى المسيح بأفعالها الطيبة، دون أن تعظه بكلام مباشر. وقد اعترف أوغسطين بهذا الأثر بقوله: "في أيامه الأخيرة على هذه الأرض، اكتسبت زوجها إليك، وما إن أصبح مسيحياً حتى زال عنه كابوس الغم والحزن الذي سيطر عليه قبل اهتدائه".¹

4-2 صفاتها :

تميزت القديسة مونيكا بمحبتها للفقراء والمحتاجين، فكانت تقدم لهم المساعدة بفرح، رغم ما كان يسببه هذا الأمر من انزعاج لزوجها، الذي ما لبث حتى أدرك أن سعادتها الحقيقية تكمن في العطاء، فتقبل الأمر في النهاية،² كما تميزت بالحكمة والاعتدال في توجيه النصائح والإرشاد، وهو ما جعلها قدوة حسنة ومثالاً حياً للنساء في بيئتها. فقد كانت، بحسب ما يرويها أوغسطين في "اعترافاته"، تملك "روحاً قوية، وقد جُرِّبت بتجارب كثيرة"، الأمر الذي منحها خبرة في حياتها، ومكَّنها من أن تكون مرشدة حكيمة للنساء المتزوجات الشابات، لا من خلال الأقوال فقط، بل من خلال سلوكها العملي ونموذج حياتها اليومية. يذكر أوغسطين أن هؤلاء النسوة كن يصغين إليها بشوق، ويشكرون الله من أجلها لما قدمت لهن من إلهام روحي وأخلاقي. ويظهر هذا النص أن دور مونيكا تجاوز نطاق الأسرة، ليشمل تأثيرها في المجتمع النسائي أيضاً³، يظهر هذا النص أن دور مونيكا تجاوز نطاق الأسرة، ليشمل تأثيرها في المجتمع النسائي أيضاً.

¹ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب التاسع، ص 184

² محمد العيد تيلي، نجاة رزوق، المرجع السابق، ص 63

³ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب التاسع، ص 183

3-4 تأثرها في نشأة شخصية القديس أغوسطين

نشأ أوغسطين في بيت مليء بحب المسيح، حيث تلقى تعليمه الروحي من والدته مونيكا، فقد بدأت تُعلّمه الصلاة منذ أن بدأ بالكلام، وكانت تشرح له مبادئ الإيمان المسيحي بلغة تناسب فهمه الصغير، وكان أوغسطين الطفل يستمع إليها باهتمام كبير، جالساً على ركبتيها أو محمولاً في ذراعيها، حيث كانت تبسط له المفاهيم الدينية بأسلوب لطيف وسلس،¹ كانت هذه المرحلة الأولى الدينية بمثابة البذرة التي نمت فيه. فقد شكّلت القديسة مونيكا عاملاً حاسماً في تكوين شخصية ابنها، سواء على الصعيد الروحي أو الأخلاقي، فمنذ طفولته، عملت على غرس بذور الإيمان والخوف من الله، حيث كانت ترضع أبناءها، إلى جانب لبن الثدي، لبن الإيمان والتقوى والحياة الروحية المقدسة ومخافة الرب،² حيث يقول أوغسطين "أمي، أمتك الأمانة، ربّني على خوفك منذ الطفولة، وسقتني بحليب الإيمان"³، كانت هذه العبارة تجسد جوهر ودور أمه مونيكا كأم ومعلمة روحية، حيث يقول:

¹ Alice Forbes, Sainte Monique, op. cit., p20

² بولا البراموسى، القديسة مونيكا، بتر يركية الاقباط الارثودوكس، د.ط.، ص 25

³ القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الاول، ص 11

"لقد أنجبتني جسدياً لأدخل إلى هذا العالم، ولكنها أنجبتني روحياً أيضاً، لتكون ولادتي الثانية الأبدية"¹ إذ يعتبرها ليس فقط أمه الجسدية، بل أيضاً أمه الروحية، التي ولدته بالإيمان من جديد. وكانت دائماً حريصة على أن يتربى ابنها على الإيمان المسيحي.

4-4 كيف واجهت مونيكا انحراف أغوسطين الفكري :

عندما انضم أوغسطين إلى الطائفة المانوية، انتشرت الأخبار وسمعت والدته القديسة مونيكا، في البداية لم تصدق الخبر لصدمته الشديدة لها، إذ لم تتوقع من ابنها مثل هذا الفعل، وشعرت بالخذلان، رغم الصدمة، سلمت أمرها لله مؤمنة بأن رحمته لا تفشل أبداً، واستمرت في الرجاء بأن ابنها سوف يعود إلى الإيمان. وعلمت لاحقاً أن أوغسطين لم يكتفِ بالارتداد عن المسيحية سرّاً فقط، بل انخرط رسمياً في الطائفة المانوية "كمستمع"، وهي أولى درجات الانضمام إليهم.

حزنت مونيكا حزناً عميقاً وشعرت أن ابنها قد مات روحياً، لأنه انفصل عن الله الذي كان محور حياتها، كانت تأمل أن هذا التحول مجرد نزوة مؤقتة، ولكن خاب أملها حين عاد أوغسطين إلى المنزل وبدأ يتحدث صراحة عن معتقداته الجديدة محاولاً إقناعها بما في تلك اللحظة، تغلب إيمان مونيكا المسيحي على عاطفة الأمومة، فرفضت البدع المانوية.² وعندما حاول أوغسطين نشر أفكاره المانوية داخل منزلها، واجهته بحزم، وأبلغته بأنه إذا استمر على هذا النحو فلن يكون مرحباً به لا على

¹ نفسه، ص 17

² Alice Forbes, Sainte Monique, op. cit., p 38

مائدتها ولا في بيتها، أوغسطين دُهل من صرامتها، وأدرك أن لصبرها حدود، فغادر منزلها واتجه إلى بيت صديقه رومانيانوس، الذي استضافه، و لكن ما إن غادر حتى انكسر قلب مونيكا، واندفعت مشاعر الأمومة بقوة، فبكت بحرقة وبلجأت إلى الله في دعائها¹.

" يقول أوغسطين في اعترافاته: "كم بكت أمامك من أجلي، يا رب؟ وكم توسلت إليك بدموعها كي لا أهلك؟"², ويصفها في موضع آخر: "كانت تذرّف الدموع في صلاة ترفعها إليك من أجلي، وكانت دموعها تصعد أمامك ولم تُحجب عنك³ كان لهذا البذل العاطفي والروحي الهائل من الأم تأثير نفسي عميق على أوغسطين، حتى وإن لم يظهر عليه في البداية.

4-5 رؤيا مونيكا وكلمة الأسقف:

في ليلة شديدة الحزن، وبعد بكاء طويل على فراق ابنها، نامت مونيكا فرأت حلمًا غريبًا ملأ قلبها بالراحة والرجاء، رأت نفسها واقفة على لوح خشبي ضيق، حزينة، ثم اقترب منها شاب مشرق الوجه وسألها عن سبب بكائها، فأجابت: "أبكي على ابني"، فأشار إلى جانبها وقال: "لا تحزني، فهو يقف بجوارك"، وعندما نظرت وجدت أوغسطين بجانبها، فقال الشاب: "اطمئني، فحيث تكونين أنت، سيكون هو أيضًا". شعرت الأم أن هذا الحلم رسالة من الله، أخبرت أوغسطين بالحلم، فحاول تأويله لصالحه، لكنها رفضت.

¹ Alice Forbes, Sainte Monique, op. cit ,p39

² القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب الثالث ص 53،

³ نفسه، ص 55

تأثر أوغسطين بإيمان والدته العميق رغم محاولاته إخفاء ذلك، وذهبت مونيكا إلى أحد الأساقفة تطلب منه المساعدة في إعادة ابنها إلى الإيمان الصحيح, فنصحها بالصبر والصلاة، وأخبرها أنه هو نفسه كان قد انخدع بعقيدة المانوية، لكنه عاد إلى الحقيقة أثناء نسخ كتبهم، حيث بدأ يلاحظ أخطاءها ففهم الحقيقة وتركها. وعند رؤيته مونيكا تبكي قال لها: اذهبي، الله يباركك، فمن المستحيل أن يضيع ابن هذه الدموع "لقد كانت رؤيا مونيكا وكلمات الأسقف كأشعة نور في الظلام، استمدت منها رجاءً جديدًا، وضاعفت صلواته.¹

4-6 خدعة أوغسطين و صدق مونيكا

تجسّد القديسة مونيكا صورة الأم الروحية والمجاهدة، التي لم تكتفِ برعاية ابنها أوغسطين جسديًا فقط أو تربويًا، بل تابعت حياته الروحية عن قرب. وعندما رأت انحرافه الأخلاقي وابتعاده عن الإيمان، شعرت أن ابنها في خطر أبدي، فبدأت رحلة جهاد روحي طويل بالصلاة والدموع, لم يكن دافعها التعلّق العاطفي أو الرغبة في السيطرة، بل كان هدفها الأسمى أن تعود نفس ابنها إلى الله لتكون "عروسًا بلا دنس" تُقدّم للعريس السماوي

¹ Alice Forbes, Sainte Monique, op, cit, p 39

عندما شعرت أن ابنها يحاول الإفلات من تأثيرها الروحي بالسفر إلى روما، لم تتوان في اللحاق به إلى الميناء، محاولة إقناعه بالبقاء أو باصطحابها معه، لم تكن تعارض طموحه العلمي، بل كانت تريد أن تبقى قريبة منه، لعل وجودها يساعد في انفتاحه على عمل نعمة الله في قلبه.¹

في محاولة للتخلص منها، قال لها أوغسطين بطريقة مأكرة إنه سيودّع صديقًا مسافرًا، ونصحها أن تذهب إلى كنيسة قريبة للصلاة فقبلت النصيحة ببساطة وذهبت تصلي بدموع وحرارة، بينما هو هرب سرًا وسافر إلى روما لكن، لم يكن تجاهل الله لصلاة مونيكا حقيقيًا، بل كانت استجابة عميقة تتجاوز ظاهر الطلب، فالله لم يمنع سفر أوغسطين لأنه كان يدبر من خلال هذا السفر مرحلة جديدة في طريق توبته وخلصه، وهكذا تجلّت حكمة الله، فعدم الاستجابة الظاهرية كان في حد ذاته استجابة جوهرية، تحقّق فيها الهدف الأسمى لمونيكا: خلاص ابنها.²

7-4 لحاقها به إلى ميلانو

بينما كان أوغسطين يواصل رحلته الفكرية والروحية، لم تكن والدته القديسة مونيكا بعيدة عن هذا المسار فقد قررت، بقلب الأم وصبر القديسة، أن تلحق به إلى ميلانو مهما كلفها الأمر، كانت الرحلة مخوفة بالمخاطر، وقد هاجت العواصف الهائلة التي أفرغت، حتى أكثر البحارة خبرة. لكن وسط هذا الاضطراب، برزت مونيكا لا كمسافرة عادية، بل كقائدة روحية تحمل رجاءً ثابتًا وإيمانًا لا

¹ بولا البراموسى ، المرجع السابق ، ص ، 32

² ولا البراموسى ، المرجع السابق ، ص 33,34

يتزعزع كانت تُشجّع المرتعبين وتطمئنهم بكلماتها الوثيقة: ستهدأ العاصفة قريباً، وسنصل بسلام؛ فأنا أعلم أن الله لم ينته من قصتي بعد". لم تكن تلك الكلمات مجرد عزاء مؤقت، بل شهادة حيّة على عمق إيمانها بأن خلاص ابنها لم يكتمل بعد، وأنها أرسلت، بطريقة ما، لتكون علامة رجاء وسط العاصفة، تأثيرها امتد إلى من حولها، حتى البحارة المتعبين وجدوا في حضورها قوة داخلية لم يفهموها، لكنهم احترموها. ولم تكذباً ميلانو حتى توجهت إلى القديس أمبروز، أسقف المدينة الشهير، ومنذ اللحظة الأولى، تعرّف هذان القلبان العميقان أمّ قديسة وأسقفٌ حكيم على بعضهما في لغة الروح وحين التقى أمبروز بأوغسطينوس بعد أيام، لم يتردد في أن يُشيد بتلك المرأة التي لم تكن فقط أمّاً جسديّة، بل رسولاً في بيتها: "اشكر الله من أجل أمك؛ إنها من بين النساء النادرات، واحدة في الألف".

هكذا لم تكن مونيكا تلاحق ابنها هرباً من الفراق، بل كانت تسير خلفه بوحى من الله، مؤمنة أن دورها لم يكن فقط في ولادته الجسدية، بل في ولادته الروحية أيضاً، من خلال الصلاة، والمرافقة، والشهادة الصامتة¹.

4-8 الأم الراعية للمجتمع الروحي في كاسياكوم

حين اعتزل أوغسطين مع أصدقائه للتأمل والبحث عن الحق، كانت مونيكا أكثر من مجرد ضيفة، كانت الحاضنة الروحية للجماعة. لم تكن تتدخل في نقاشاتهم الفلسفية، لكنها كانت تؤمن

¹ Alice Forbes, The Life of Saint Monica, p 94

لهم مناخًا من السلام والتوازن، وتغمرهم بصمتها، وصلاتها، وتواضعها. هذا الحضور الهادئ شكّل إطارًا غير مباشر لبناء جماعة مؤمنة حول أوغسطين، تهيّئه للمعمودية وتثبته في تحوله الجديد.

4-9 الاستعداد للرحيل ودعم مشروع الرسالة

قرر أوغسطين العودة إلى إفريقيا لتكريس حياتهم لخدمة الله، كانت مونيكا مستعدة لمرافقتهم، دون تردد أو تملك، فقد أدركت أن رسالتها هي أن تُعين على ولادة مشروع كنسي جديد، لا أن تملك ثماره. استعدادها للذهاب معهم "حيث يشاءون" يُظهر نضجها الروحي وتحررها من الأنانية، لقد سلّمت ابنها لله، لا مرة واحدة، بل كل يوم.

4-10 عشية رحيلها.

كانت تغمرها حالة روحية متميّزة، بعد مشاركتها في قداس عيد القديس كبريانوس، عادت "غارقة في الله"، تعيش المناولة كتجربة حيّة، لا مجرد طقس. وربما كانت تستعيد في قلبها ذكريات ليلتها الطويلة في قرطاج، حين ظنت أن الله لا يسمع صلواتها. لكنها اليوم تفهم أن صمت الله حينها لم يكن تجاهلاً، بل تمهيداً لتحقيق وعده، ولقد استُجيب صلواتها بأكثر مما طلبت: لم يتغيّر أوغسطين فقط، بل صار رسولاً، في ذلك المساء، حين جلس أوغسطين مع والدته عند النافذة المطلّة على البحر، عاشا لحظة من التأمل في الأبدية. كان حديثًا لا عن اللاهوت النظري، بل عن الشوق إلى الله. ومعًا، شعرا كما يروي أوغسطين أن روحيهما "نبضتا كقلب واحد" نحو المحبة الإلهية،

إنها لحظة وحدة صوفية, تختصر علاقة امتدت عبر الألم, والرجاء, والإيمان, وهنا نلمح اكتمال دور مونيكا: فقد أصبحت ليست فقط أمًا لابنها, بل شريكة له في تذوق الملكوت, قبيل أن تترك له الأرض.¹

يقول أوغسطين في اعترافاته " لم يستطع أن يحتمل الحزن على فراق أمه، وكان يبكي بحرقة كما لو فقدت شيئًا لا يُعوّض ولم يكن حزن الفقد وحده، بل كان الامتزاج بالحزن فرحًا عميقًا لأنها قد انتقلت إلى الراحة التي طالما اشتاقتها، إلى النعيم الأبدي حيث لا ألم ولا دموع"²

1- أوغسطين بين طاغست و هيبو

1-1 أوغسطين في طاغست

عاد أوغسطين إلى طاغست مسقط رأسه , شرع في تحقيق ما كان قد عقد عليه العزم منذ فترة طويلة، وهو تكريس حياته بكليتها لخدمة الله, وقد كان هذا القرار ثمرةً لتحوّله الروحي العميق، لا بعد نيّله سر المعمودية فحسب، بل منذ لحظة اهتدائه الصادق إلى الإيمان المسيحي, وفي أولى خطوات هذا التكرّس، تنازل أوغسطين طوعًا عن جميع ممتلكاته التي ورثها عن والده، وقام بتوزيع قيمتها على الفقراء والمحتاجين، دون أن يحتفظ لنفسه بأي جزء منها, وقد فعل ذلك عن وعيٍ ورغبة صادقة في التحرّر من التعليقات الدنيوية، ليعيش حرًّا في العبودية لله، حسب تعبيره، وهي الحرية التي

¹Alice Forbes, The Life of Saint Monica, op. cit., pp. 119–120

² القديس أوغسطينوس، المصدر السابق، الكتاب التاسع، ص 190

رأى فيها السبيل الأسمى لتحقيق إرادة الله بعيداً عن كل قيد مادي , كما سعى أوغسطين، من خلال هذا الخيار الجذري، إلى أن يكون من بين من أشار إليهم السيد المسيح بوصفه: "لا تخف، أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يُعطيكم الملكوت" إنجيل لوقا 12: 32.¹

أمضى أوغسطين ما يقارب ثلاث سنوات في مدينة تاغاست، منقطعاً عن مشاغل الحياة العامة، ملتزماً بنمط حياة تأملي جمع بين العبادة والتأمل والدراسة، بصحبة مجموعة من رفاقه الذين شاركوه هذا التوجّه الروحي، وقد شكّل هذا النمط، في سياقه التاريخي، أحد النماذج الأولى للحياة الرهبانية الناشئة في شمال إفريقي، دفعته مناسبة استثنائية إلى مغادرة عزلته والتوجّه إلى مدينة هيبو، عام 391م وذلك بدافع شخصي نبيل تمثّل في رغبته بإنقاذ صديق مقرب له² ومع ذلك، فإن تزايد شهرته بين أوساط المؤمنين في تلك الفترة جعله يتحسّب من احتمالية ترشيحه لمناصب كنسية عليا، وهو ما لم يكن يسعى إليه بطبيعة الحال. بل إنه كان يتعمّد، بحسب ما ورد في بعض المصادر، تجنّب الذهاب إلى المدن التي كانت خالية من أسقف، خوفاً من أن يُفرض عليه الدور الأسقفي دون إرادة منه³.

¹ Charles B. Reynolds, *A History of World Literature Translated* (St. Augustine, FL: E.H. Reynolds, 1888), p. 107.

² خديجة زموري، المرجع السابق، ص 93.

³ Reynolds, *A History of World Literature Translated*, op. cit., p. 113

1-2 أوغسطين في هيبو : بين إرادة الله وصوت الجماعة .

عند وصل أوغسطين الى مدينة هيبو، كان يشغل منصب الأسقف آنذاك رجلٌ تقي يُدعى فاليريوس (Valerius)، عُرف بصلاحه وشيخوخته. ولم يكن أوغسطينوس على علم بالنقص الحاد الذي كانت تعاني منه الكنيسة المحلية في عدد الكهنة. وعندما اجتمع المؤمنون لمناقشة هذا الأمر، تواجد أوغسطينوس في الكنيسة مع العامة، دون أن تكون لديه أي نية أو معرفة بشأن ما يُحضر، وقد كانت شخصية أوغسطينوس تحظى باحترام كبير بين سكان المدينة، لما عُرف عنه من علم وتقوى، ولا سيما لتجرده التام عن أملاك الدنيا وتكريسه الكامل لحياة الزهد وخدمة الرب. وفي أثناء خطاب الأسقف فاليريوس حول ضرورة تعيين كاهن، أبدى الحضور حماسًا جماعيًا مفاجئًا، واتجهوا نحو أوغسطينوس مطالبين برسامته. ولم يكن في ذلك ما يخالف التقاليد الكنسية، إذ إن أوغسطينوس، وقتها، لم يكن قد التحق بعد بالسلك الإكليريكي الرسمي في بلده الأصلية "تاغاست".

ووفقًا للأعراف الكنسية آنذاك، عُرض أوغسطينوس على الأسقف لينال سرّ الكهنوت، وقد جاءت هذه الرسامة ضمن سياق اجتماعي وكنسي شهد تضامنًا شعبيًا لافتًا، حيث أُجمع الحضور على ضرورة تعيينه، ما يعكس درجة القبول التي كان يحظى بها.

أبدى أوغسطين رفضاً شديداً لهذا التكليف حيث يقول في هذا: " لقد أجبروني...وقدمت الي هذه المدينة هييون لأرى صديقا.....فقبضوا عليا, ورسمت كاهنا, وقادني ذلك في آخر الأمر الي الاسقفية."¹.

دخل منصبه الجديد دون أن يمتلك من المتاع سوى الثياب التي يرتديها، لكنه أغنى الكنيسة بعلمه الواسع وتقواه العميقة، ما أكسبه شهرة امتدت إلى خارج حدود المدينة، وساهم في رفع شأن هييون كحاضرة مسيحية بارزة , رغم وجود عدد من الأسقفيات المهمة في إفريقيا آنذاك، كانت أبرشية هييون من بين الأوسع نفوذاً، إذ امتد نطاقها الجغرافي ليشمل مناطق بعيدة , أما الأسقف فاليريوس، فكان يوناني الأصل، عُرف بتقواه وورعه، لكنه لم يكن متقناً للغة اللاتينية، مما جعله يشعر بعدم الكفاءة في إرشاد شعبه روحياً. ولهذا، كثيراً ما كان يلجأ إلى الصلاة طالباً من الله أن يبعث له من يعينه على الوعظ والتعليم. فلما رُسم أوغسطين، رأى في ذلك استجابة إلهية لدعائه، فابتهج ورفع الشكر لله².

¹ حديجة. زموري , المرجع السابق, ص, 93

²Reynolds, A History of World Literature Translated, op. cit., p. 115

1-3 العودة إلى الحياة النسكية وتأسيس الدير الثاني 391-396 م

بعد سيامته كاهنًا في مدينة هيپو ريجيوس سنة 391، رأى القديس أوغسطين أن هذا الحدث يمثل دعوة إلهية للعودة إلى نمط الحياة النسكية الذي كان قد ابتدأه في وقت سابق في تاغاست، وقد نال دعمًا فعليًا من أسقفه، فاليريوس، الذي لم يكتفِ بالتشجيع، بل قدم له ممتلكات من أملاك الكنيسة ليتمكن من إنشاء دير جديد، يُعدّ الثاني في مسيرته الرهبانية، مثل هذا الدير فضاءً لتكوين إكليريوس ملتزم بالزهد والفكر اللاهوتي، وهو ما كان له بالغ الأثر لاحقًا في تكوين نخبة كنسية قوية في إفريقيا الرومانية خلال هذه المرحلة، أظهر أوغسطين حيوية رعوية لافتة؛ فقد أوكل إليه فاليريوس مهمة الوعظ، رغم أن هذا الامتياز كان محفوظًا للأساقفة فقط حسب العرف الإفريقي، هذه الخطوة الجريئة، التي كانت استثنائية في الكنيسة المحلية، كشفت مبكرًا عن الكفاءة الخطابية والفكرية لأوغسطين ومهدت لدوره كأحد أبرز اللاهوتيين في الغرب المسيحي¹.

1-4 التصدي للهراطقات: المواجهة مع المانوية.

بعد اعتناق أوغسطين للمسيحية وتعمّقه في فهم عقائدها، كرّس جهوده للدفاع عنها في مواجهة التيارات الهرطقة، وعلى رأسها المانوية. وقد ركّز في هذا الدفاع على إثبات المصدر الإلهي

¹ Charles G. Herbermann et al., “St. Augustine of Hippo,” *Catholic Encyclopedia*, vol. 2 (New York: Robert Appleton Company, 1907) <https://www.newadvent.org/cathen/02084a.htm>.

للإيمان المسيحي، مستندًا إلى الأدلة التي لم تكن المانوية تملكها أو تعترف بها، مثل المعجزات، والنبوءات، والتحقق التاريخي للكتب المقدس. في نظر أوغسطين، تميّزت العقيدة المسيحية بقدرتها على إظهار فاعلية الله في التاريخ، في حين افتقرت المانوية إلى براهين ملموسة تثبت صدق تعاليمها. ومن هنا، بنى دفاعه اللاهوتي لا على الجدل الفلسفي المجرد فقط، بل على وقائع الإيمان الحي المدعوم بالتاريخ والوحي الإلهي، في إطار مواجهته الفكرية للمانوية، خصّص القديس أوغسطين مؤلفًا ضخماً بعنوان، الرد على فوستس المانوي، وهو عمل لاهوتي واسع النطاق يتألف من 33 كتابًا، كتب في أواخر القرن الرابع الميلادي. ويأتي هذا العمل ردًا مباشرًا على كتابات فوستس، أحد كبار معلّمي المانوية، الذي هاجم العقيدة المسيحية واتهمها بالتناقض والانحراف عن العقل¹.

خاض أوغسطين مناظرة علنية مع "فورتوناتوس"، أحد كبار دُعاة المانوية، وانتهت المواجهة بانتصار أوغسطين، ما دفع خصمه إلى الهرب من مدينة هيبيو.²

1-5 التصدي للبيلاجيين :

تميّزت مواجهة القديس أوغسطين لطائفة البيلاجيين³، الذين اعتبروا من الهراطقة الجدد في زمانه، بصلافة فكرية ومنهجية دفاعية عميقة، فقد برز هؤلاء كطائفة تمتلك أدوات جدلية حاذقة وكتابات

¹ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 267

² Herbermann, "St. Augustine of Hippo," op. cit

³ البيلاجيانية : هي بدعة لاهوتية ظهرت في أواخر القرن الرابع الميلادي، ينسبها التاريخ إلى الراهب البريطاني بيلاجيوس الذي ولد عام 370 م تنص هذه العقيدة على إنكار الخطيئة الأصلية وتأكيد أن الإنسان يستطيع أن يبلغ الخلاص بقوته الذاتية

ذات طابع خادع ومضلل، مستغلين المنابر الكنسية والمجالس الخاصة للترويج لمعتقداتهم، وقد تصدى لهم أوغسطين بكل حزم على مدى يقارب العقد من الزمن، من خلال تأليف عدد كبير من الكتب، فضلاً عن مناظرات علنية متكررة داخل الكنيسة، وعندما حاول البيلاجيون خداع الكرسي الرسولي وتقديم أنفسهم كممثلين للإيمان القويم.¹

1-6 نهاية البيلاجيين

اتسم ردّ القديس أوغسطين بالحزم والصرامة، خاصة بعدما تجاهلت كنيسة روما في إحدى المرات دعوته لإدانة البيلاجيين، وفي مواجهة هذا الإهمال، قرر أوغسطينوس أن يلتجئ مباشرة إلى الإمبراطور هونوريوس، نظراً للانقسام الكنسي الحاد الذي كانت تعاني منه الكنيسة الإفريقية، والذي سبب اضطرابات واسعة وحالة من عدم الاستقرار السياسي والروحي، ولتجنّب إشعال صراع إضافي داخل الكنيسة، أصدر الإمبراطور في إفريقيا مرسوماً رسمياً سنة 30 أبريل 417م، يقضي بإدانة بيلاجيوس وأتباعه، ومنع انتشار أفكارهم، الأمر الذي مثل انتصاراً لموقف أوغسطينوس وساهم في توحيد الموقف الكنسي ضد هذه البدعة .

وأعماله الصالحة دون الحاجة الضرورية إلى نعمة الله. أدانها القديس أوغسطين بشدة، واعتبرتها الكنيسة تحديداً للإيمان المسيحي، فأدانها عدة مجامع، أبرزها مجمع قرطاج سنة 418م. للمزيد ينظر إلى: خديجة زموري، المرجع السابق. ص 268

¹ Possidius of Calama, *The Life of Saint Augustine*, trans. J. E. Rotelle, O.S.A., from *Saint Augustine: A Biography*, Augustinian Heritage Institute, 1988, p18 https://www.tertullian.org/fathers/possidius_life_of_augustine_02_text.htm.

1-7 التصدي للأريوسية :

واجه القديس أوغسطين بدعة الأريوسية التي أنكرت ألوهية المسيح، رغم أنها أُدِّيت رسميًا في مجامع نيقية (325م) والقسطنطينية (381م) كما رفض أوغسطين الفكر الأريوسي في كتاباته العقائدية، خاصة في مؤلفه "حول الثالوث". دافع عن وحدة الجوهر الإلهي بين الآب والابن والروح القدس، مؤكدًا أن المسيح مولود من الآب وليس مخلوقًا، استخدم الكتاب المقدس، والعقل الفلسفي، والتقليد الكنسي لإثبات بطلان الأريوسي، أسهم فكره في ترسيخ العقيدة النيقاوية في شمال إفريقيا، وكان له تأثير طويل الأمد على اللاهوت المسيحي في الغرب¹

1-8 التصدي للدوناتين :

تعدّ الحركة الدوناتية² من أبرز القوى الدينية والسياسية التي نشطت في شمال إفريقيا لأكثر من ثمانين عامًا، حيث واصلت وجودها رغم محاولات الإمبراطورية الرومانية المتكررة لقمعها باستخدام وسائل قسرية وسياسات إقصائية، وقد نجحت هذه الحركة في إعادة تنظيم نفسها، مُنشئة بنية كنسية موازية عبر مجامع أسقفية خاصة بها، في هذا السياق، عُيِّن القديس أوغسطين سنة 395م أسقفًا

¹ خديجة زموري، المرجع السابق ص 273 ، 277، 278 .

² الحركة الدوناتية : هي حركة دينية منشقة ظهرت في شمال إفريقيا في القرن الرابع الميلادي نتيجة للصراع الديني الذي شهده العالم المسيحي آنذاك. تأسست نتيجة انفصال مجموعة من رجال الدين عن الكنيسة الكاثوليكية بسبب اتهامات وجهوها لرجال دين آخرين بالتخاذل أثناء الاضطهادات. أطلقوا على أنفسهم اسم "الكنيسة النقية"، نسبةً إلى زعيمهم "دوناتوس (Donatus)" الذي لعب دورًا مهمًا في تأسيسها، وخاصة "دوناتوس القرطاجي (Donatus Carthaginensis)" للمزيد ينظر إلى حويدي، نبيلة". الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنين الرابع والخامس الميلادي". مجلة المواقف للعلوم الاجتماعية والإنسانية، م 16، ع4، ديسمبر 2020.

لمدينة هيبو ريجيوس، ولعب دورًا محوريًا في مواجهة الانقسام الكنسي الذي خلفته الدوناتية، اعتمد أوغسطين على وسائل متعددة في معركته ضد هذه الحركة، شملت الحجج اللاهوتية والروحية، إلى جانب الاستعانة بسلطة الدولة عند الحاجة، حيث دافع عن مشروعية استخدام القوة لتحقيق الوحدة الكنسية، مستندًا إلى النص الكتابي: "أجبرهم على الدخول" إنجيل لوقا 14 .

برز دوره في مناظرة قرطاجة الكبرى سنة 411م، التي دعا إليها الإمبراطور وجمعت ممثلين عن الكاثوليك والدوناتيين، حيث أسهم في دحض أطروحات الخصوم وأفضت المناظرة إلى إصدار حكم ضد الدوناتيين، وعلى الصعيد الرعوي، انخرط أوغسطينوس بفاعلية في إقناع المؤمنين على المستوى المحلي، جامعًا بين الحجة اللاهوتية والحضور الميداني، مما ساعد على تعزيز سلطة الكنيسة الكاثوليكية وتثبيت وحدتها في شمال إفريقيا¹.

1-9 دور القديس أوغسطين في تحرير العبيد

لعبت أوغسطين دورًا محوريًا في مواجهة ظاهرة العبودية في شمال إفريقيا أواخر العصور القديمة، ليس فقط من منطلق ديني، بل أيضًا انطلاقًا من حسّ إنساني واجتماعي عميق، فقد واجه أوغسطين واقعًا مضطربًا، تميز بانتشار الحروب والصراعات الداخلية، مما أدى إلى تفاقم ظواهر الأسر والاسترقاق، خاصة في المدن والمزارع الريفية، حيث استُغلت النساء والأسرى في ظروف قاسية تُظهر

¹ عبد الحميد عمران. "القديس أوغسطين وصراعه مع الدوناتيين". مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 11، ص.

مصادر متعددة أن أوغسطين لم يكن متفجعاً على هذه المآسي، بل تدخل فعلياً لتحرير العبيد، حيث تشير بعض الوثائق إلى قيامه بتحرير حوالي مئتين وعشرين عبداً كانوا قد أرسلوا كأسرى من مدينة لجأ إلى قرطاج، ولم يكن هذا التدخل فعلاً فردياً فقط، بل جزءاً من رؤية كنسية متكاملة تهدف إلى صون الكرامة البشرية، أدرك أوغسطين أن المشكلة لا تتعلق فقط بواقع الاستعباد، بل بالمنظومة الاجتماعية والاقتصادية التي تسمح به، لذلك لم يكتف بالدعوة إلى تحرير الأفراد، بل طالب أيضاً بملاحقة المتورطين في الاتجار بالبشر، ولا سيما في حالات الخطف والاسترقاق القسري، داعياً إلى عرض تلك القضايا على المحكمة الأسقفية، وتبين بعض الحوادث أنه لم يتردد في محاسبة أصحاب النفوذ، حيث عمل على إحالة أحد القادة العسكريين إلى القضاء الكنسي بعد تورطه في انتهاكات ضد الأسرى من منظور لاهوتي، اعتبر أوغسطين أن الحرية هبة إلهية، وأن استعباد الإنسان لأخيه الإنسان يُعدّ تعدياً على صورة الله في البشر، ورغم أنه لم يُطالب بإلغاء العبودية بشكل مطلق: كما لم يكن ذلك ممكناً في السياق الروماني، إلا أن مواقفه المتكررة في دعم العبيد، والدفاع عنهم في مواظمه ورسائله، تؤكد التزامه الأخلاقي بتحريرهم والتخفيف من معاناتهم، وهكذا، يجسّد دور أوغسطين نموذجاً مبكراً للقيادة الدينية التي سعت إلى التوفيق بين اللاهوت والممارسة الاجتماعية، وجعلت من الدفاع عن الضعفاء محوراً من محاور رسالتها في عالم يطغى عليه العنف والتفاوت الطبقي¹.

¹ محمد، وابل. "الأسقف أوغسطينوس والمجتمع في مدينة هييون". دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج. 10، ع. 3، 436. 437. جامعة ابن خلدون، تيارت، 16 جوان 2021، ص.

10-1 القديس أوغسطين في أواخر حياته: المواجهة مع الأريوسية وسقوط هيبيو

في سنة 426م، قام القديس أوغسطين ، أسقف هيبيو، وهو في 72 من عمره، بتعيين الشمّاس هيراكلينوس (Heraclius) معاونًا له وخليفةً له في الأسقفية، وذلك لتجنب المدينة اضطرابات الخلافة بعد وفاته، ونقل إليه الإدارة الخارجية للكنيس. لكن الراحة التي كان يأملها لم تتحقق، إذ شهدت إفريقيا اضطرابات سياسية كبيرة بسبب تمرد القائد الروماني الكونت بونيفاس (Bonifacius) وسوء التفاهم بينه وبين الإمبراطورة غاللا بلاكيديا (Galla Placidia) وقد أرسلت الإمبراطورة قوات القوطية (Gothi) لقمع تمرده، وكانت هذه القوات، مثل الوندال (Vandali) الذين استنجد بهم بونيفاس، يتبعون المذهب الأريوسي. ومع دخول الأسقف الأريوسي ماكسيمينوس (Maximinus) إلى مدينة هيبيو مع القوات الإمبراطورية، تصدى القديس أوغسطين للدفاع عن العقيدة المسيحية القويمة في مناظرة علنية سنة 428م، بالإضافة إلى عدد من الكتابات اللاهوتية، وإذ كان متألمًا من الخراب الذي أصاب إفريقيا، سعى أوغسطين إلى تحقيق مصالحة بين بونيفاس والإمبراطورة، وقد نجح جزئيًا، لكن السلام لم يتحقق مع ملك الوندال جنسريك (Gensericus) وبعد هزيمته، لجأ بونيفاس إلى مدينة هيبيو، التي كانت قد أصبحت ملجأً لعدد من الأساقفة، وخضعت لحصار دام ثمانية عشر شهرًا. ورغم الحصار وظروف المرض، استمر أوغسطين في دحض تعاليم جوليان الإكلاني، لكنه أصيب، في بداية الحصار، بمرض أدرك أنه سيكون مميتًا،

فقضى الأشهر الثلاثة الأخيرة من حياته في الصلاة والصبر، وتوفي في 28 أغسطس سنة 430م، عن عمر ناهز السادسة والسبعين¹.

1-11 اللحظات الأخيرة للقديس أوغسطين:

عاش القديس أوغسطين ستة وسبعين عامًا، قضى منها قرابة أربعين في خدمة الكنيسة ككاهن وأسقف وكان يؤمن بضرورة التوبة حتى بعد المعمودية، وقد طبق ذلك في مرضه الأخير، إذ عكف على قراءة مزامير التوبة وبكى بجرارة، طالبًا الخلوة للصلاة والتأمل، حتى قبيل وفاته، استمر في الوعظ بقوة وبذهن صافي توفي بجسده سليمًا، ودُفن بعد إقامة الصلاة عليه دون أن يترك وصية، إذ لم يكن يملك شيئًا يورثه، بل أوصى فقط بالحفاظ على مكتبة الكنيسة وممتلكاتها، لم يخص أقاربه بمعاملة متميزة، بل أعانهم كغيرهم عند الحاجة، وترك خلفه كنيسة منظمة، وأديرة، ومكتبة غنية بكتاباته وكتابات الآباء، وهكذا، بقي تأثيره حيًا في الكنيسة، حيث يجده المؤمنون حيًا في فكره وتعليمه².

¹ Possidius, *The Life of Saint Augustine*, op. cit.p31

² Ibid .p31

الفصل الثالث: الأعمال والإنجازات

المبحث الأول: أبرز أعمال أوغسطين

المبحث الثاني: صدى أعماله

المبحث الثالث: مكانته بين المفكرين المسيحيين

ـ أبرز أعمال أوغسطين:

تعتمد معرفة الباحثين بمؤلفات القديس أوغسطين على مصدرين أساسيين, يتمثل المصدر الأول في أوغسطين نفسه, إذ أشار في عدد من أعماله إلى مؤلفاته, سواء بشكل مباشر أو ضمني, أما المصدر الثاني, فهو تلميذه ومؤرخ سيرته بوسيديوس (Possidius), الذي كان من أكثر الكتاب غزارة في الانتاج و التأليف.¹

تتميز مؤلفات القديس أوغسطين بالربط بين العقل و الإيمان والعمق الروحي والتأملي, ولا تزال كتاباته تحظى باهتمام المفكرين و الفلاسفة حول العالم , لما تحمله من رؤية عميقة وشخصيات حية تجاوزت عصرها, فبقيت مصدر إلهام متجدد لكل طالب علم يسعى الي الفهم الروحي والفلسفي .²

ترك القديس أوغسطين إرثاً أدبياً ضخماً, يتجاوز مئتي رسالة 200, خمس مائة 500 موعظة, بالإضافة إلي أكثر من مائة وثلاثة عشر 113 مقال كتبها باللغة اللاتينية , وتمتاز هذه المؤلفات بجودة أسلوبها, وتوازن بنيتها, وبلاغتها العالية, فضلاً عن ما تعكسه من عمق إيماني وفكري ترك أثراً بالغاً في الفكر المسيحي و الإنساني على مر العصور.³

¹ إيمان فاضلي ، "القديس أوغسطين: التصور الأنثروبولوجي المسيحي للعالم ومكانة الإنسان في التاريخ والحضارة خلال العصور الوسطى"، مجلة المدخل، ع 21، 2025، ص313

² القديس أوغسطين، محاوراة النداء، تر، الخوري الأسقف يوحنا الحلو ، بيروت، دار المشرق، ط1، 2005، ص 3 .

³ علي زعرور، الفكر الفلسفي في المسيحية المبكرة، بيروت ، د ط , دار المعرفة، 2001، ص. 108

يقول بنجامين ورفيلد (Benjamin Breckinridge Warfield): أن القديس أوغسطين شرع في نشاطه التألفي قبل اعتناقه المسيحية, حيث نشر ما يقارب 380 دراسة فنية, غير أن هذه الدراسات تعد الآن في عداد الأعمال المفقودة, مع ذلك فإن مرحلة ما بعداعتناقه المسيحية شكلت الانطلاقة الحقيقية لإنتاجه الفكري الغزير, حيث ظهرت أبرز مؤلفاته التي تركت أثرا بالغا في الفلسفة و اللاهوت.

بدأ أوغسطين بإعداد سلسلة من البحوث الفلسفية التي مهدت لتأسيس ما يعرف باليوم "بالفلسفة المسيحية".¹

كانت أغلب مؤلفات القديس أوغسطين في مجملها, موجهة ضد الهرطقة, كاتباع المانوية و الأفلاطونيين, وذلك بهدف إعادتهم الي طريق النور و الإيمان المسيحي, كما سعى من جهة أخرى, الي تصحيح بعض المفاهيم التي تم ترويجها داخل الكنيسة ذاتها, لا تلك الصادرة من خارجها وقد حمل علي عاتقه المشاركة الفاعلة في القضايا اللاهوتية و الفكرية التي شغلت أرجاء الإمبراطورية الرومانية بأكملها, وليس فقط تلك التي نشأت في إفريقيا, ومن هذا المنطلق, يمكننا أن ندرج بعضا من أبرز مؤلفات أوغسطين التي لاقت شهرة واسعة في سياق هذا المجهود.²

¹ ليلي رامي, "الاعترافات للقديس أوغسطين والمنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي: دراسة مقارنة", مجلة البحوث والدراسات الشرعية, ع 16, 1446هـ, ص. 150.

² حديجة زموري, المرجع السابق, ص. 97.

1_ في السيرة الذاتية

● كتاب الإعترافات (Confessiones)

في هذا الكتاب روى اغسطين سيرته الذاتية و أحداث حياته الماضية وخطاياها في 13 فصل، وفصل في ذكريات طفولته وتجارب شبابه، فقد قام أوغسطين بتقديم نفسه بصدق وشفافية، حيث كشف على الملأ حياته الخاصة قبل التوبة حتى لا يغالي أحد في تقديره أكثر مما يستحق، أو حتى لا يحكم عليه أحد بحسب أقواله فيظنه أسمى مما هو عليه في الواقع ونفس الامر.

تناول اغسطين في الاعترافات بروح نقدية ضعف البشر وانقيادهم خلف الشهوة، ولم يكن هدف أوغسطين من الاعترافات تمجيد ذاته أو استقطاب المعجبين، بل أراد أن يجعل تجربته الشخصية مثالا يحتذي به، يظهر فيها امكانية الخلاص مهما بلغت خطايا الإنسان، فاعترف بخطاياها أمام الله، وسعى من خلال كتابته إلى أن يبعث الأمل في نفوس الخطائين، بأن طريق العودة إلى الله مفتوح وأن رحمته لا تحدها خطيئة.¹

كتب أوغسطين هذا الكتاب وهو في عقده الاخير من القرن الرابع ميلادي، وألفه باللغة اللاتينية، استغرق في تأليفه ما يقارب ثماني سنوات أي بين عامي 389م و397 ميلاديا²، لم يكن كتاب الاعترافات مجرد ممارسة دينية أو تعبيراً عن صراع داخلي بقدر ما كانت شهادة حية تنطق

¹ حديجة زموري، المرجع السابق، ص 103

² محمد جلوب فرحان نداء إبراهيم خليل، "الفيلسوف حنا أندريت و القديس أوغسطين"، مجلة أوراق فلسفة، مركز الأكاديمي للأبحاث و الدراسات العدد 13، 2016، ص 165.

بوجود الله و صلاحه ومحبهه ,وتقر بفضلله في حياة الإنسان ,فقد قدم أوغسطين من خلالها تصوير عميقا لتحرر من قيود الحياة البشرية ,وسحق الكبرياء المتأصل في الذات ,مسلطا الضوء علي هشاشة الإنسان حين ينادي إلى نعمة الله ,وعلى ضياع السيادة الإنسانية عندما تختزل في الأنا المنفصلة عن الخالق .¹

يعد هذا الكتاب نقطة تحول في مسار الكتابة الذاتية , إذ فتح أمام المؤلفات اللاحقة أفقا جديدا من الصراحة و النزعة و الإعترافية, وساهم في ترسيخ توجه تعرية النفس ,لاسيما في اللحظات التي تتدخل فيها المشاعر بالآثام أو يثقل الضمير بأعباء التأنيب .²

من أبرز ما يميز " كتاب اعترافاتي" أنه كتب بأسلوب شاعري تنبعث منه روحانية وجدانية عميقة , حيث يستحضر فيه أوغسطين آلام المعاصي ووطأة الذنوب , يسعى من خلالها الي بلوغ السكينة الناتجة عن التوبة و نيل الغفران, معتمدا في ذلك علي مقابلة ثنائية بين مفاهيم الحياة و الموت و الدنيا و الآخرة .³

2_ أعماله الدفاعية:

¹ القديس أوغسطينوس، الاعترافات، المصدر السابق، الكتاب الأول، ص 5

² إحسان عباس، فن السيرة، ط1، بيروت، دارصادر، 1996، ص.106

³ جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 216.

• مدينة الله (De Civitate Dei)

يعيدّ القديس أوغسطين من أبرز آباء الكنيسة المدافعين, إذ أسهم بشكل جوهري في الدفاع عن العقيدة المسيحية ضد الوثنية وضد الفلسفة اليونانية, وضد الهرطقات الداخلية و العقائدية الغير قومية التي اخذت بالتطور داخل رحم المسيحية ذاتها فكانت أهم مؤلفاته الدفاعية "مدينة الله", الذي كتبه بين سنتي 413 إلى 426م. يعتبر هذا الكتاب من أروع الكتب في الدفاع عن المسيحية.¹

وضع القديس أوغسطين كتاب "مدينة الله" في سياق تاريخي مأساوي شهدته أوروبا, تمثل في سقوط مدينة روما سنة 410 م على يد القبائل الجرمانية المعروفة ب "البرابرة" وقد خلف هذا الحدث العنيف حالة من الصدمة و الانفعال العميقين, وفتح الباب أمام موجة من الاتهامات الموجهة إلى المسيحية, خاصة قبل التيار الوثني, الذي حمل الدين المسيحي مسؤولية ما آلت إليه أوضاع الامبراطورية الرومانية, وفي ظل هذه الازمة الفكرية و الدينية جاء كتاب "مدينة الله" استجابة لطلب أحد أصدقاء القديس أوغسطين, ليكون ردا شاملا على التحديات التي فرضها الفكر الوثني, ودفاعا عن العقيدة المسيحية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع, في مواجهة الانحطاط الاخلاقي و السياسي الذي كانت روما في أواخر عهدها.²

• تأليف الكتاب "مدينة الله" (De Civitate Dei)

¹ إيمان فاضلي، "القديس أوغسطين: التصور الأنثروبولوجي المسيحي للعالم ومكانة الإنسان في التاريخ والحضارة خلال العصور الوسطى"، مجلة المدخل، ع 21، 2025، ص313

² علي زعرور، المرجع السابق، ص 30.

شرع القديس أوغسطين في تأليف كتابه الشهير "مدينة الله" سنة 413 م, وكان عمره حينها 59 سنة وقد أتممه بعد 13 سنة أي في سن 72 سنة , ونشر في مراحل متفرقة خلال تلك السنوات , في الجزء الاول من الكتاب دافع أوغسطين عن المسيحية ضد اتهامات التي وجهت اليها عقب سقوط روما على يد القوط , فقد أنكر أن يكون انخيار الإمبراطورية نتيجة لغضب الآلهة الوثنية بسبب اعتناق الرومان للمسيحية , وقدم أدلة تاريخية عن ذلك بقوله أن مدن وثنية بحتة قد دمرت من قبل رغم عبادتها للأصنام , مما يدل على عجز الأصنام علي حماية نفسها .¹

• المرجعية اللاهوتية لمفهوم "مدينة الله".

استوحى القديس أوغسطين عنوان كتابه "مدينة الله" من إحدى الآيات الواردة في سفر المزمير، " قيل بيك يا أمجاد المدينة الله", وبنى على ذلك مفهوما لاهوتيا يقسم العالم الي مدينتين : "مدينة الله", و"مدينة الإنسان".

يقول القديس أوغسطين في هذا الشأن : "حذاري أن تفكر أن الشيطان قد انتصر و أنه اجتذب إليه عدد كبير من الناس , لأنه من الممكن التغلب عليه بعدد قليل , ولهذا السبب نشأت مدينتين : مدينة الأشرار و مدينة الأبرار , وكلاهما تتبعان سيرهما منذ نشأة الجنس

¹ خديجة زموري , المرجع السابق, ص 99.

البشري وحتى نهاية العالم متداخلتان جسما ومتميزتان ارادة , أما في الدينونة فلسوف تميز أجسامهما "1

يري أوغسطين أن المدينة ليست مجرد كيان مادي مكون من جدران ومباني , بل هي تجمع بشري مبني علي نوع المحبة التي تحكمه , فمدينة الأرض نشأت من حبّ الذات حتى الإزدراء بالله , وعلى الرغم من أن سكان المدينتين قد يتشاركون في تفاصيل الحياة اليومية , فإن الله وحده من ينتمي حقا إلي أي من المدينتين, وسيظهر ذلك يوم الدينونة .2

تطرق القديس أوغسطين في كتابه "مدينة الله" إشكالية الخير و الشر من منظور لاهوتي و فلسفي حيث أشار إلي أن كلا من الخير و الشر يمكن أن يصيب الصالحين و الأشرار على حد سواء, غير أن ما يميز الإنسان ليس وقوعه في الخير أو الشر , بل في كيفية التي يتعامل بها مع ما يصيبه , فالقيمة الأخلاقية تكمن , بحسب أوغسطين, في طريقة استخدامه لإنسان لما يمنح له , وليس في ذات المنحة , كما بين الإنتماء الديني و الأخلاقي ليس ثابتا فقد يتحول الأعداء الي مؤمنين و العكس , كما يؤكد على أن مدينتي الله و الإنسان متداخلتان في الحياة الدنيا , ولن يتم الفصل بينهما نهائيا إلا في يوم الدينونة بحسب سلوك الأفراد وإيمانهم.3

¹ القديس أوغسطينوس، تعاليم المبتدئين، أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب، تر، الخوري الأسقف يوحنا الحلو، ط1، بيروت دار المشرق، 2007، ص58.

² خديجة زموري، المرجع السابق ، ص 100

³ أوغسطين، مدينة الله، تر، الخوري الأسقف يوحنا الحلو، م 1، ط2، بيروت ، دار المشرق، ص. 8.

اعتمد كذلك أوغسطين في عرضه لمفهوم "مدينتي الخير و الشر" علي سرد تاريخي مستمد من الذاكرة الدينية و الرموز الكتابية , فاستشهد بشخصية قابيل و هايل بوصفيها تجسيدا أوليا للمدينتين المتضادتين , حيث تمثل مدينة الأشرار بقايل , في حين يجسد هايل مدينة الأبرار , وتتبع أوغسطين هذا الصراع الثنائي في التاريخ المقدس بدءا من آدم مرورا بعصر طوفان نوح , ثم من ابراهيم الي داود , ومن دواود إلي مرحلة السبي البابلي , وصولا إلى ظهور المسيح , يؤكد أوغسطين أن هذا الصراع بين المدينتين ليس مجرد حدث تاريخي بل هو مسار مستمر حتي نهاية الزمان .¹

3_ أعماله العقائدية:

في " الثالث المقدس "(DeTrinitate) كتب بين سنتي 412, 399م, ثم أكمل أجزاءه الأخيرة سنة 420م, شرح فيه العقائد المسيحية, وأهمها العقيدة في الله , كما يعتبر هذا العمل ثمرة تفكير طويل وعميق , وثمره مطالعة واسعة , قال : "قرأت كل ما تمكنت من قراءته من مؤلفات من كتبوا قبلي في موضوع الثالث " في الثالث .²

4_ في البدع :

¹ القديس أوغسطين , تعاليم المبتدئين , المصدر السابق , ص , 67.

² القديس أوغسطين , المسيح مجد الشهداء , تر: ريمون يوسف رزق , تقديم الأنبا إرميا , ط1 , القاهرة: المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي , 2012 , ص 18

كتبه سنة 428م, كتاب الرد علي بدعة ماني (ContraFaustumManichaeum) "في الإيمان والقانون", "في القانون والمواعظ", "الأنخيريديون أو الكتب الموجه إلى لورينتيوس"

_الأعمال ضد المانوية والدوناتية والبيلاجية :

كتاب "ضد الأكاديميين" (ContraAcademicos), في الاختيار الحرّ, في أخلاق الكنيسة الجامعة. في أخلاق المانيّين, في المعمودية ضد الدوناتيتين, ضد رسالة بارمنياس, في الطبيعة والنعمة, في نعمة المسيح, في الخطيئة الأصلية, في النفس ومصدرها, ضد أربع رسائل للبيلاجيين, ضد يوليانس, النعمة والاختيار الحرّ, في الفساد والنعمة,¹.

5_الأعمال التفسيرية:

- تفسير العهد القديم : تفسير الفصول الثلاثة, تفسير رمزي, في الأسفار السبعة الأول من الكتاب المقدس وفي المزامير تفسيرات وموعظ مختلفة .
- تفسير العهد الجديد : في اتفاق الإنجيليون, 124 بحثا في إنجيل يوحنا, عشرة فصول في رسالة يوحنا الأولى, دراسات تفسيريه أخرى فيها إنجيلي متى, ولوقا, والرسالتين إلى أهل رومية وإلى أهل غلاطية .

6_الأعمال اللاهوتية و الأخلاقية و الرعوية :

أبحاث في: الزواج (De bonoconiugali), البتولية المقدسة (De sanctavirginitate), الكذب,

الصبر , تعليم الموعوظ طالبي الدخول في المسيحية.¹

7_المواعظ (Sermones): له مجموعة ضخمة من المواعظ نقلت عنه اختزالاً, وقد نسبت إليه

362 موعظة أصلية, فمأذكر منها بوسيديوس 279.

8_الرسائل (Epistulae): تبلغ مجموعة رسائل أوغسطين 270 رسالة منها 47 موجهة إليه ,6 موجهة إلى

أحد أصدقائه ,وقد أضيف إليها في ما بعد 7 رسائل ,فلسفية و لاهوتية, ومن أهم تلك الرسائل ,التي

وجهت إلى إيرونيموس (Hieronimus) ,والرسالة 211 التي وضع فيها أوغسطين قانون الحياة

الرهبانية لدير الرهبات في هيبو.

9_الشعر (Poetry): نظم ما سماه "المزمور ضد الدوناتى", في 30 مقطعاً, ومنظومة "النفس" علي

الوزن السداسي.

10_الأعمال الفلسفية (Opera Philosophica): في الجميل و الملائم (De pulchro et apto), في

الحياة السعيدة (De beatavita), في النظام (De ordine), في المناجيات (Desoliloquia), في خلود

النفس (De immortalitate animae), في روحانية النفس (De quantitate animae), في المعلم

(De megastore), في الموسيقى² (De musica)

¹القديس أوغسطين، المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق ، ص 17

²القديس أوغسطين، المسيح مجد الشهداء، المصدر السابق ، ص 17

المبحث الثاني: صدى أعماله

تميز أعمال وأسلوبه أوغسطين بالعمق التحليلي والحس الأخلاقي العالي، وهو ما جعله حاضرًا بقوة في قضايا العصر التي عاشها، ومُلهمًا للأجيال التي تلتها، كما أن مؤلفاته تمثل مصدرًا دائمًا للإلهام في كل عصر، فهي مرآة لصراعاته الروحية، وانعكاسٌ لجهوده العقلية في تفسير العقيدة والدفاع عنها، وقد أثرت بشكل كبير في الفكر المسيحي، متجاوزة حدود الزمن والمكان، كما أن مؤلفاته تمثل مصدرًا دائمًا للإلهام في كل عصر، فهي مرآة لصراعاته الروحية، وانعكاسٌ لجهوده العقلية في تفسير العقيدة والدفاع عنها، وقد أثرت بشكل كبير في الفكر المسيحي، متجاوزة حدود الزمن والمكان.¹

كان لأعمال القديس أوغسطين، وعلى رأسها مدينة الله (De Civitate Dei) أثر عميق في صياغة رؤية مسيحية للتاريخ، جمعت بين البعد الروحي والنقد السياسي للسلطة الإمبراطورية.²

لقد مثل كتاب الاعترافات للقديس أوغسطين تحولًا نوعيًا في تاريخ الأدب الديني والفكري، إذ لم يقتصر على كونه سيرة ذاتية لرحلة روحية، بل أسس لنموذج أدبي جديد يمزج بين الاعتراف الشخصي، والتأمل الفلسفي، والدعاء اللاهوتي. ففي هذا العمل، يكشف أوغسطين عن أعماق

¹ جاريت ماثيوز، المرجع السابق، ص 9

² Henri-Irénée Marrou, *Saint Augustin et la fin de la culture antique*, Paris : Éd, du Seuil, 1958, pp. 210–215.

أعماق ذاته، ويخوض حوارًا داخليًا صادقًا مع الله، عارضًا صراعاته الفكرية وأزماته النفسية وتجربته مع الخطأ والنعمة، في إطار سرديّ يعكس تحوُّله من الخطيئة إلى الإيمان، ويُعتبر هذا الأسلوب مبتكرًا في زمانه، إذ لم تكن الكتابات المسيحية السابقة تولي هذا القدر من الاهتمام بالشخص الفرد، ولا بتجربته الذاتية، من هنا، يُنظر إلى الاعترافات على أنها من أوائل النماذج الكلاسيكية للكتابة الذاتية، لا في الأدب المسيحي فحسب، بل في التاريخ الثقافي الغربي كله. فقد ألهم هذا العمل أجيالًا من الكُتّاب والمفكرين الذين وجدوا في صدقه الداخلي وعمقه الإنساني مرآة لتجارهم الخاصة، كما أثر في تشكيل تصور جديد عن الذات، والضمير، والعلاقة الشخصية مع الله.¹

في العصور الوسطى، برز فكر القديس أوغسطين كمرجعية أساسية في بناء الفكر اللاهوتي والفلسفي المسيحي، حيث اعتمد عليه العديد من المفكرين المدرسين في تأسيس مفاهيم العقيدة.²

من أبرز من تأثروا به في هذه المرحلة كان القديس توما الأكويني، الذي استلهم من أوغسطين مفاهيم النعمة الإلهية، والخطيئة الأصلية، والإرادة الحرة، وأعاد صياغتها ضمن بنائه اللاهوتي العقلي.³

¹ يوسف إسكندر، الفكر المسيحي من القرن الأول حتى القرن الخامس، مكتبة المحبة، القاهرة، د.ط، ص. 118.

² Robert Dodaro, *Christ and the Just Society in the Thought of Augustine*, Cambridge University Press, 2004, pp. 90–91.

³ صموئيل حبيب، القديس أوغسطينوس: حياته وفكره اللاهوتي، دار الثقافة، القاهرة، 1998، ص. 91.

لم يقتصر تأثير القديس أوغسطين على الفكر اللاهوتي الكنسي في العصور القديمة والوسطى، بل امتد إلى الفلسفة الحديثة، لا سيما من خلال المفاهيم التي بلورها حول الذات، والوعي، والحرية الداخلية، والإرادة لقد كان أوغسطين من أوائل من تناولوا الذات البشرية كموضوع تأملي داخلي، إذ عبّر في الاعترافات عن صراعه مع نفسه، وبحثه عن الحقيقة في أعماق ذاته، مما مهّد لظهور نزعة فكرية ترى أن الإنسان يكتشف الله من خلال نفسه، وهذا التصوّر أثر بشكل مباشر في روني ديكارت، مؤسس الفلسفة الحديثة، الذي بنى نظريته في اليقين المعرفي على أساس تأمل الذات («أنا أفكر، إذن أنا موجود»)، وهي مقارنة تتقاطع بشكل عميق مع الروح الأوغسطينية في ربط التفكير بالوجود. وقد درس الفيلسوف الفرنسي جان-لوك ماريون (Jean-Luc Marion) هذا التأثير الأوغسطيني في كتابه حول اللاهوت الأبيض لديكارت، مبيّنًا أن ديكارت، رغم طابعه العقلاني، كان يستبطن عناصر روحية متوارثة عن أوغسطين¹.

بذل أوغسطين جهدًا كبيرًا في تأسيس توافق بين تعاليم المسيحية والتيارات الأفلاطونية الجديدة، خاصة تلك المستمدة من أفلاطون وأرسطو في صياغتها الكلاسيكية، وقد تأثر بشدة بأفلوطين (Plotin) في القرن الثالث الميلادي، لكنه، بخلاف غيره، لم يكن تابعًا لهذا التقليد بل ناقده عميقًا له، حيث أعاد صياغته ضمن منظور مسيحي لاهوتي صارم، ولهذا السبب يُعدّ من أبرز من ساهم في إعادة تنظيم التراث الأفلاطوني المسيحي في قالب يتماشى مع العقيدة المسيحية، كما كان

¹ Jean-Luc Marion, Sur la théologie blanche de Descartes, Paris : Presses Universitaires de France, 1981, pp. 45-50.

سبباً في التطرق إلى القضايا ذات البعد الأنطولوجي والميتافيزيقي، وقد تميّزت تحليلاته بالوضوح والعمق مقارنةً بسابقه، كما شكّل خطابه نموذجاً نقدياً صارماً، لا يتوقف عند التعارض الظاهري بين الألفاظ بل يتجاوز إلى تحليل الواقع الإنساني والروحي، ما يجعله أحد رواد الدراسة النقدية الجذرية في تاريخ الفكر اللاهوتي¹.

كانت كتابات القديس أوغسطين من بين الكتب المفضّلة لدى عدد من الفلاسفة المعاصرين، وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه، رغم نقده الشديد للمسيحية، فقد تبني بعضاً من تحليلات أوغسطين، بل عدّه من بين الشخصيات التي تركت أثراً نفسياً وفكرياً عميقاً، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن سيغموند فرويد نفسه كان من أوائل من اكتشفوا في نصوص أوغسطين إشارات تحليلية ترتبط ببدايات الوعي واللاوعي، خصوصاً في كتابه " الاعترافات " حيث تتجلى تأملات أوغسطين في أعماق الذات البشرية، والخطيئة، والذاكرة، والرغبة. ويُعد هذا العمل من أبرز الأمثلة التي تُظهر التقاء البعد الروحي بالبُعد النفسي².

لقد امتد تأثيره أعمال أوغسطين ليشمل الأدب الديني والفكر اللاهوتي في العصور الوسطى، إذ كان له حضور بارز في تناول قضايا السيرة الذاتية والدين والتاريخ الإنساني، خصوصاً في عمله الشهير *الاعترافات*، الذي يُعدّ من أوائل النصوص التي زاوجت بين التأمل الذاتي والبعد الوجودي

¹ بلال مقنعي، وعبد المالك بن عباس، "الكون في رؤية القديس أوغسطين: قراءة في الأسس المعرفية"، مجلة دروب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 2، م 5، 2021، ص 276_ 278_ 277

² هنري تشادويك، أغسطسينوس: مقدمة قصيرة جداً، تر، أحمد محمود، سلسلة مقدمات قصيرة وجدا الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2013، ص. 12.

,ويتفق العديد من الباحثين على أن هذا العمل يرسخ نموذجًا فريدًا من الكتابة التي تجمع بين العمق الروحي والانشغال بالذات البشرية، وهو ما منح "الاعترافات" مكانة محورية في الأدب المسيحي والإنساني على حد سواء, أما فيما يخص الحضور الأفريقي لأوغسطين، فقد أشار أن شمال إفريقيا كانت، حتى القرن الرابع الميلادي، بؤرة خصبة لإنتاج الفكر المسيحي الغربي. ويرى في ذلك نموذجًا للفكر الديني المتجذر في هذه الجغرافيا، حيث ظلّ تأثيره ممتدًا إلى معظم مؤلفات الكتاب اللاتينيين المسيحيين.¹

_ مكانته في المسيحية

لقد تجاوزت مكانة أوغسطين حدود زمانه، إذ ظلّ فكره يُستعاد في محطات حاسمة من تاريخ الكنيسة، سواء في مواجهة البدع اللاهوتية في القرون الأولى، أو في بلورة الفكر المدرسي الوسيط، أو حتى في جدالات الإصلاح الديني في القرن السادس عشر.²

لعب أوغسطين دورًا محوريًا في تطوير مفهوم الكنيسة كجماعة مقدّسة تقابل "مدينة الله"، في مقابل "مدينة الإنسان"، وهو تصور ظلّ مؤثرًا في اللاهوت السياسي المسيحي حتى العصور الحديثة.¹

¹ مختاربه، مقدم: "أثر الفكر الجزائري القديم في الفلسفة الأوروبية: إريليوس أوغسطينوس نموذج"، مجلة المواقف، م 17، ع

01، 2021، ص 1183-1197

² يوسف إسكندر، المرجع السابق، ص. 120-122.

أثر القديس أغسطين تأثيراً عميقاً في تكوين الفكر المسيحي الغربي، وقد اعتبره المؤرخ الكندي فيليب شاف (Philip Schaff) أحد أعظم آباء الكنيسة اللاتينية، إذ قدّم له في موسوعته الشهيرة (*Nicene and Post-Nicene Fathers*) آباء ما بعد مجمع نيقية، المجلد الأول، ص. 74، وصفاً تفصيلياً يُبرز مكانته الفريدة باعتباره ركيزة أساسية في تقاليد اللاهوت والفكر الكنسي في الغرب، وفي السياق نفسه، يشير يوحنا كواستن (Johannes Quasten) في كتابه المرجعي علم الآباء لا سيما في المجلد الرابع الصفحات 342-462، إلى أهمية أوغسطين الفكرية واللاهوتية، ويخصّه بفصل مستقل يناقش فيه أبرز كتاباته، وخصائص فكره، ومواقفه الجدلية، كذلك يؤكد برتراندراسل (Bertrand Russell) في كتابه تاريخ الفلسفة الغربية، أن أوغسطين يُعدّ من بين الأساتذة الأربعة العظام للكنيسة الغربية، كل من جانب جيروم، وأمبروز، وغريغوريوس الكبير، ويرى راسل أن تأثير هؤلاء الأربعة كان جوهرياً في تشكيل البنية الفكرية والروحية للكنيسة الغربية، لا سيما خلال العصور الوسطى، فالقديس أوغسطين، فقد صاغ جزءاً كبيراً من الفكر الكنسي الغربي، وأثر بشكل كبير على قضايا الخلاص والنعمة، وحتى على المصلحين البروتستانت مثل مارتن لوثر وكالفن، يُجمع كثير من الباحثين على أن فكر أوغسطين يشكل مرجعية مركزية في العصور الوسطى والحديثة، لم يكن

¹ Augustin, *La Cité de Dieu*, trad. G. Combès, Paris : Gallimard, 1959, Livre XIX, pp. 1100

فقط شخصية كنسية لاهوتية، بل كان مؤسسَ الموقفِ فلسفي ولاهوتي استمر تأثيره لأكثر من ألف عام في الغرب المسيحي.¹

لقد ظل اسم أوغسطين لامعًا في سجل أعلام الفلسفة واللاهوت، كما يذكر المؤرخ الفلسفي فريدريك كوبلستون (Frederick Copleston) بقوله: "لقد ظل اسم أوغسطين يتردد في كل أوروبا خلال العصور الوسطى"، بوصفه أحد أعظم العقول اللاهوتية التي عرفها التاريخ، ويؤكد هذا التوجه الكاتب الأمريكي "جاريث ماثيوز" في دراسته حول شخصية أوغسطين، حيث يصفه بأنه واحد من أكثر الشخصيات تأثيرًا في التراث المسيحي والفلسفي الغربي، وقد جمع في شخصه بين الإبداع الفلسفي والالتزام العقائد يلقد كان أوغسطينوس مفكرًا لاهوتيًا نظريًا ومدافعًا شرسًا عن العقيدة المسيحية.²

يمثل القديس أوغسطين في التقليد الأرثوذكسي شخصية لاهوتية وروحية ذات مكانة معتبرة، يُشاد بفضلِه وعمقِ اختبارِه، مع الإقرار بوجود بعض الملاحظات على منهجه العقلاني المفرط في التعبير عن العقائد، ويعترف به الآباء الأرثوذكس، أمثال مرقس الأفسسي (Marcus Ephesius)، بوصفه "مباركًا" و"إلهيًا"، مع التأكيد على أن ما يُؤخذ من أقواله هو ما ينسجم مع إجماع الكنيسة،

¹ إيمان فاضلي، "المرجع السابق"، ص 310

² بلال مقنعي وعبد المالك بن عباس، المرجع السابق، ص 174

وما يخالفه يُرفض دون إسقاط لمكانته, فهو عند الأرثوذكس أبٌ محترم، كرمت نواياه، وانتقدت بعض عباراته، دون أن يقصى من تراث الكنيسة أو يُحوَّل إلى مصدر حصري للانحراف الغربي¹.

يحتل القديس أغوستين مكانة محورية في التقليد اللاهوتي للكنيسة الغربية، ويُعدّ من أهم الشخصيات الفكرية والروحية في تاريخ المسيحية وقد عبّر البابا بندكتوس السادس عشر عن هذه المكانة بوضوح في خطابه خلال المقابلة العامة بتاريخ 30 يناير 2008، حيث وصفه بأنه: أعظم آباء الكنيسة اللاتينية (the greatest Father of the Latin Church) "وأشار إلى أن أوغستين لا يتميز بغزارة إنتاجه اللاهوتي فحسب، بل أيضًا بعمق تجربته الروحية وصدقه الإنساني في سعيه نحو الله، مؤكدًا أنه "واحد من أكثر شخصيات الكنيسة تألقًا وعظمة"²

يحتفل كل عام بعيد القديس أوغستين في الكنيسة الكاثوليكية بتاريخ 28 أغسطس، وهو اليوم الذي يوافق وفاته سنة 430م، وقد جرت العادة في الممارسة الكنسية أن يُخصص هذا اليوم لتكريمه باعتباره أحد أعظم آباء الكنيسة اللاتينية.³

تُجسّد استمرارية حضور القديس أوغستين في اللاهوت المسيحي عبر العصور عمق مكانته كمفكر روحي وفيلسوف إيماني، جمع بين التجربة الدينية والتحليل العقلي. وكما يبيّن جان جيتون،

¹Archimandrite Chrysostomos, "Book Review: The Place of Blessed Augustine in the Orthodox Church," *Orthodox Tradition*, vol. 2, nos. 3–4 (1982): 40–43.

²Benedict XVI, *General Audience: Saint Augustine*, Vatican.va, 30 January 2008, https://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/audiences/2008/documents/hf_ben-xvi_aud_20080130.html .

³"*Saint Augustine*. Encyclopaedia Britannica, <https://www.britannica.com/biography/Saint-Augustine>

فإن أوغسطين لم يفصل بين الإيمان والعقل، بل ربطهما ضمن مشروع روحي وفلسفي موحد، حيث مثّلت كتاباته تأملاً دائماً في التاريخ والخلاص. ولهذا ظل فكره حاضراً في المفاصل الكبرى من تاريخ الكنيسة، من العصور الوسطى إلى الإصلاح، وصولاً إلى الفلسفة الحديثة¹.

¹ Jean Guittou, *Le problème de Jésus*, Paris : Éditions Universitaires, 1950, pp. 140–144.

الخاتمة

توصلنا في نهاية هذا العمل إلى مجموعة من النتائج نعرضها كما يلي:

- يتّضح من خلال هذه الدراسة أن سيرة أوغسطين ليست مجرد سجل تاريخي لحياة شخصية لاهوتية بارزة، بل هي مرآة لتجربة إنسانية عميقة، تتأرجح بين النور والظلام، بين البحث عن المتعة والحنين إلى المطلق. لقد سعى أوغسطين منذ سنوات طفولته بين دفء الأم وصرامة الأب، إلى التوفيق بين نداء الجسد وصوت الروح، وكان في كل مرحلة من حياته يقترب خطوة من الحقيقة التي كانت تحتبئ خلف صحب المدن، وفتنة البلاغة، وثرء الفكر الفلسفي.

- ولعلّ أبرز ما يمكن استخلاصه من هذه الرحلة الفكرية والروحية، هو أن التحوّل لا يأتي دفعة واحدة، بل هو ثمرة تراكمات وتجارب وتوتّرات داخلية، وما يجعل أوغسطين شخصية فريدة هو أنه عرف كيف يحوّل ضعفه إلى وعي، وسقوطه إلى درس، وتجربته الذاتية إلى نصّ خالد ما يزال يلهم الباحثين والمفكرين حتى يومنا هذا.

- إن التأمل في مؤلفات القديس أوغسطين يكشف عن عمق فكري وروحي لا يزال يُدهش القراء والمفكرين بعد مضي أكثر من خمسة عشر قرناً على رحيله، فقد تمكّن هذا الأب الكنسي من المزج بين التجربة الذاتية والبحث العقلي، وبين الانفعال الإيماني والنقد الفلسفي، لترك لنا تراثاً يتجاوز حدود عصره، ويطرح أسئلة لا تزال قائمة في الحاضر.

- يُظهر تحليل كتاب الاعترافات كيف استطاع أوغسطين أن يحول معاناته وتردده وضياعه السابق إلى دعوة صادقة نحو التوبة والانفتاح على رحمة الله، بأسلوب ذاتي عميق لم يكن مألوفًا في كتابات عصره، أما مدينة الله، فيعكس جهده الفكري في الدفاع عن الإيمان المسيحي في وجه انيارات سياسية وثقافية، مقترحًا تصوّرًا جديدًا للعدالة والتاريخ والمجتمع يقوم على محبة الله، لا على تمجيد الذات أو القوة.
- لقد لعبت شخصية القديس أمبروز، إلى جانب قراءات أوغسطين الفلسفية، خاصة للأفلاطونية المحدثه، دورًا محوريًا في زعزعة قناعاته السابقة، وفتح وعيه أمام رؤية مسيحية عقلانية تجاوزت التصورات السطحية التي حملها عن الدين.
- قد لعبت شخصية القديس أمبروز، إلى جانب قراءات أوغسطين الفلسفية، خاصة للأفلاطونية المحدثه، دورًا محوريًا في زعزعة قناعاته السابقة، وفتح وعيه أمام رؤية مسيحية عقلانية تجاوزت التصورات السطحية التي حملها عن الدين .
- شكلت تجربة أوغسطين في هيبو نقطة تحوّل حاسمة في مسيرته، إذ انتقل من الحياة التأملية الخاصة إلى ممارسة المسؤولية الرعوية والعامة، ما يعكس تطورًا في وعيه بدعوته الروحية كقائد كنسي ومعلم للإيمان.
- برزت موهبة أوغسطين الخطابية والفكرية منذ بداياته في هيبو، وجعلت منه ليس فقط خادمًا كنسيًا محليًا، بل مفكرًا مؤثرًا في الكنيسة الجامعة، لا سيما من خلال الوعظ والكتابة اللاهوتية.

- ثَمَّل أوغسطين جدارًا فكريًا وروحياً ضد موجات الهرطقة المختلفة، ولا سيما المانوية والبيلاجية و الدوناتية، ما جعله أحد أبرز المدافعين عن العقيدة الأرثوذكسية في الغرب المسيحي ودعامة أساسية في مواجهة الانقسامات الكنسية.
- خَلَّف أوغسطين في هيبو نموذجًا يُتذى به في الجمع بين الفكر والعمل، بين الزهد والقيادة، وبين الدفاع اللاهوتي والخدمة الاجتماعية، وهو ما يجعل من تجربته في هذه المدينة ذروة نضجه الروحي والإنساني .
- يُعتبر أوغسطين من أعمدة الفكر الكنسي، حيث شكَّلت آراؤه حول النعمة والخطيئة والإرادة الحرة مرجعًا أساسيًا في بناء العقيدة المسيحية الكاثوليكية، وظل تأثيره ممتدًا حتى الإصلاح البروتستانتي .
- جمع أوغسطين بين الإرث الفلسفي اليوناني والروماني وبين التعاليم المسيحية، مما جعله من أوائل المفكرين الذين صاغوا لاهوتًا فلسفيًا متكاملًا يخاطب العقل والإيمان معًا.
- رغم بعض التحفظات في التقليد الأرثوذكسي، ظل أوغسطين يحترم باعتباره شخصية مباركة وروحية، واحتُفي به كقديس وأب للكنيسة، لا سيما في الكنيسة الكاثوليكية التي تكرمه رسميًا في 28 أغسطس من كل عام.

الملاحق

ملحق رقم 1: يمثل نص قانون هونوريوس

قانون هونوريوس الصادر في 412م عقب مناظرة رطاج والهادف إلى استئصال الدوناتية من جذورها ولذلك جاء هذا القانون بعقوبات تمسّ كل طبقات المجتمع

"اعتبارا من تاريخ صدور هذا القانون، إذ لم يلتحق الدوناتيين -سواء منهم الأساقفة أو القساوسة أو العامة، بالكنيسة الكاثوليكية التي انشقوا عنها منتهكين الحرومات، فليرغموا على اداء غرامة فردية الى خزينتنا و ذلك حسب ما يأتي : المشاهير: (Inlustres): 50 رطلا من الذهب، الاشراف (Spectabiles): 40 رطلا من الذهب، السناتريون (Senatores): 50 رطلا من الذهب ، اللامعون (Clarissimi): 20 رطلا من الذهب ، اعيان الاقليم (Sacerdotales): 30 رطلا من الذهب ، اعيان المدن (Principales) : 20 رطلا من الذهب ، اعيان المجالس البلدية (Decurione) : 5 ارطال من الذهب، التجار (Negotiatore): 5 ارطال من الذهب عامة المدن (Plebis): 10 ارطل من الذهب، الدوارون (Circumcillones): 10 ارطال من الفضة ؛ وفي حالة ما اذا لم يقدم الاركارون (Conductors) الدوارين الموجودون تحت مسؤوليتهم، أو لم يقدم وكلاء الإمبراطور (Procurators) إلى الملف بتنفيذ القانون (Excutor) كي يؤديوا الغرامة فإنهم مطالبون شخصيا بأدائها بحيث لا يعفى منها أهل بتنا، وليخضع نساءهم للغرامة الزوجية على انفراد .وهكذا سوف يتعرض كل من اصّر (على البقاء في الدوناتية) رغم الأحكام الصادرة عليه للمصادرة كل ممتلكاته ، ة ليبعد الرقيق (Servi) من هذه الديانة المحضورة بإبداعهم سجن أسيادهم، والمزارعون (Coloni) بالعدد الكافي من الجلادات وإلا فليسدد أسيادهم (Domini) الغرامات المذكورة، حتى ولو كانوا كاثوليكين."

المرجع : خديجة زموري , المرجع السابق , ص 288

الملحق رقم (02) :



الشكل رقم (01) :



الشكل رقم (03) :



الشكل رقم (02) :

الشكل رقم (01) : مخلفات كنيسة هيبو
الشكل رقم (02) : الطريق الرابط بين هيبو و البروقنصولية
الشكل رقم (03) : الجزء الخلفي لكنيسة هيبو التي وضعها فارليروس تحت تصرف القديس أوغوسطين

المرجع : زموري خديجة , المرجع السابق , ص 96



الشكل رقم (04) :

الشكل رقم (04) : كنيسة القديس أوغسطينوس في عنابة بعد الترميم



الصورة رقم (01) :

الصورة رقم (01) : أقدم صورة للقديس أوغسطينوس تصوير جصي القرن السادس

المرجع : جاريث ماثيو، المرجع السابق ص 10

الفهارس

فهرس البيليوغرافيا

أولا المصادر

1. المصادر باللغة العربية :

1. أغوسطينوس، القديس .الاعترافات .ترجمة: يوحنا الحلو، ط4، بيروت: دار المشرق.
2. أغوسطينوس، القديس .مدينة الله .ترجمة: يوحنا الحلو، ط2، بيروت: دار المشرق.
3. أغوسطينوس، القديس .تعاليم المبتدئين، أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب .ترجمة: يوحنا الحلو، بيروت: دار المشرق، 2007.
4. أغوسطينوس، القديس .محاورة الذات .ترجمة: يوحنا الحلو، بيروت: دار المشرق، 2005.
5. أغوسطينوس، القديس .المسيح مجد الشهداء .ترجمة: ريمون يوسف رزق، تقديم: الأنبا إرميا، القاهرة: المركز الثقافي القبطي الأرثوذكسي، 2012.
6. الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية.

2. بالمصادر باللغة الأجنبية:

1. Augustin, Saint. *La Cité de Dieu*. Trad. G. Combès, Paris: Gallimard, 1959.
2. Possidius of Calama, *The Life of Saint Augustine*, trans. J. E. Rotelle, O.S.A., from *Saint Augustine: A Biography*, Augustinian Heritage Institute, 1988

ثانيا المراجع

1. المراجع باللغة العربية

- 1- البراموسي، بولا، القديسة مونيكا، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، د.ط , دس.
- 2- حارش، محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم الميراث في المغرب القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى غاية الفتح الإسلامي ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر , 1992.
- 3- حبيب، صموئيل، القديس أغسطينوس: حياته وفكره اللاهوتي، دار الثقافة، القاهرة، 1998.
- 4- حمد المدني توفيق، قرطاجة من عصر التجارة الي الفتح الاسلامي، تونس، د ط، 1926.
- 5- زيغور، علي، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية، ط1، دار اقرأ، لبنان، 1983.
- 6- زعور، علي، الفكر الفلسفي في المسيحية المبكرة، بيروت: دار المعرفة، د.ط، 2001.
- 7- جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية: بدء من الفتح الإسلامي سنة 647م، تونس الجزائر المغرب الاقصى تر: محمد مزالي بشير بن سلامة ، دار تونسية لنشر، تونس، 1983
- 8- شنيقي، محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- 9- عباس، إحسان، فن السيرة، ط1، بيروت، دار صادر، 1996.
- 10- العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1984.

- 11- كندر، يوسف، الفكر المسيحي من القرن الأول حتى القرن الخامس، مكتبة المحبة، القاهرة.
- 12- لخصيري، زينب محمد، لاهوت التاريخ عند القديس أغوسطين، دار الثقافة، مصر، 1992.
- 13- لعقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 14- روبن، دانيال، التراث المسيحي في شمال إفريقيا، تر: سميرة مالك، دار منهل الحياة، لبنان.
- 15- تشادويك، هنري، أغسطينوس: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: أحمد محمود، سلسلة "مقدمات قصيرة جدًا"، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2013.

3. المراجع باللغة الاجنبية

1. Biechy, Amand. Saint Augustin de l'Afrique au Ve siècle, Barbou Frères, 1867.
2. Bertrand, Louis. Saint Augustin. Arthème Fayard et Cie, France, 1913.
3. Brown, Peter. La Vie de saint Augustin. Trad. Jeanne Marou, Éd. du Seuil, 2001.
4. Djedaïte, Mahmoud. Saint Augustin, fils de Thagaste et de la Numidie. Alger, Éditions Apic, 2009.
5. Dodaro, Robert. Christ and the Just Society in the Thought of Augustine. Cambridge University Press, 2004.
6. Forbes, Alice. The Life of Saint Monica. London: R. & T. Washbourne, 1919.
7. Guitton, Jean. Le problème de Jésus. Paris : Éditions Universitaires, 1950.

8. Herbermann, Charles G. et al. "St. Augustine of Hippo," *Catholic Encyclopedia*, vol. 2, 1907.
9. Lancel, Serge. *Saint Augustin*. Paris: Fayard, 1999.
10. Lancel, Serge. *Entre africanité et romanité*. Communication, 2001.
11. Marion, Jean-Luc. *Sur la théologie blanche de Descartes*. Paris: PUF, 1981.
12. Marrou, Henri-Irénée. *Saint Augustin et la fin de la culture antique*. Paris: Éd. du Seuil, 1958.
13. Reynolds, Charles B. *A History of World Literature*
Translated. St. Augustine, FL: E.H. Reynolds, 1888

– ثالثا المقالات الأكاديمية

1. المقالات الأكاديمية باللغة العربية :

- 1- إسماعيل، عثمان، "بولس الرسول المؤسس الحقيقي للمسيحية الحالية ,حياته، أفكاره، تأثيره على المسيحي " مجلة الإنسان والمجال، ع 40، 2016.
- 2- أنديشة، محمد، "اضطهاد الأباطرة الرومان لأتباع الديانة المسيحية"، المجلة العلمية، م 1 س، ع 1، جامعة مصراته، 2014
- 3- بن عطا الله، عبد الرحمن، "انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا خلال الاحتلال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 11.
- 4- بونقاب، عماد، و بعيطيش عبد الحميد، "مرسوم كركلا وتأثيره على بلاد المغرب القديم خلال القرن 3م"، مجلة الإحياء، م 23، ع 32، 2023.
- 5- تيلي، محمد العيد، رزوق ونجاة، "القديسة مونيكا: مكانتها ودورها في حياة القديس أغوستين 331م-387"، مجلة عصور الجديد، م 13، ع 2، 2023.
- 6- دكار، إلياس بن عبد الله، "أغوستين طاغست: الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي – دراسة استقرائية تحليلية في الفكر الأغوستيني"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، م 5، ع 9، 2020.
- 7- رامي، ليلي، "الاعترافات للقديس أغسطين والمنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي: دراسة مقارنة"، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، ع 16، 1446هـ.
- 8- فاضلي، إيمان، "القديس أغسطين: التصور الأنثروبولوجي المسيحي للعالم ومكانة الإنسان في التاريخ والحضارة خلال العصور الوسطى"، مجلة المدخل، ع 21، 2025.

- 9- جلوب محمد ، ونداء إبراهيم خليل " .الفيلسوفة حنا أندريت والقديس أغوسطين"،
مجلة أوراق فلسفة، العدد 13، 2016.
- 10- قنعي، بلال، وعبد المالك بن عباس " .الكون في رؤية القديس أوغسطين: قراءة في
الأسس المعرفية"، مجلة دروب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 2، م 5، 2021.
- 11- حاجي، عيسى، وسعيد القلاش " .التدوين التاريخي عند الإغريق من هوميروس إلى
ديودور الصقلي"، مجلة فينق للفكر التاريخي، م 22، ع 1، 2022.
- 12- هويدي، نبيلة، "الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنين الرابع والخامس
الميلادي"، مجلة المواقف للعلوم الاجتماعية والإنسانية، م 16، ع 4، 2020.
- 13- وابل، محمد، "الأسقف أوغسطينوس والمجتمع في مدينة هييون"، دراسات في العلوم
الإنسانية والاجتماعية، م 10، ع 3، 2021.

2. المقالات الأكاديمية باللغة الاجنبية :

1. Archimandrite Chrysostomos. "The Place of Blessed Augustine in the Orthodox Church", Orthodox Tradition, vol. 2, nos. 3-4 (1982).
2. Benedict XVI. General Audience: Saint Augustine, Vatican.va, 30 Jan 2008.
3. "Saint Augustine", Encyclopaedia Britannica.
<https://www.britannica.com/biography/Saint-Augustine>

– رابعا الرسائل والمذكرات الجامعية:

1. أويحيى، سعيدة،الديانة المسيحية في المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الميلادي إلى بداية القرن الخامس الميلادي ,180-411م ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2016-2017.
2. بوقفة، نور السادات،سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقف السكان منها 164-430م , مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية أحمد دراية – أدرار، 2015-2016.
3. زموري، خديجة , القديس أغوستين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945 – قالمة، 2017.
4. عمران، عبد الحميد،الديانة المسيحية في المغرب القديم: النشأة والتطور 180-430م ، أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2010-2011.
5. نشنش، حميدة،رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية إلى غاية السلام المسيحي سنة 313 ميلادي من خلال ترتوليانوس وكبريانوس، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009.

– خامسا الدوريات والمواقع الإلكترونية :

1. Vatican.va: <https://www.vatican.va>
2. Encyclopaedia Britannica: <https://www.britannica.com>
3. New Advent (Catholic Encyclopedia):
<https://www.newadvent.org/cathen/02084a.htm>
4. Tertullian.org (Possidius' Life of Augustine):
https://www.tertullian.org/fathers/possidius_life_of_augustine_02_text.htm

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

- 97 آدم -
- 103..... أفلوطين -
- 106-65-59-58-57-56-51..... أمبروزيوس -
- 36 أوديوداتوس -
- 35-34-33-32-31-31-30-29-28-27-26..... أوغسطين -
- 51-50-49-48-47-46-45-44-43-42-41-40-39-38-37-36
- 68-67-66-65-64-63-62-61-60-59-58-57-56-54-53-52
- 84-83-82-81-80-79-78-77-76-75-74-73-72-71-70-69
- 100-99-98-97-96-95-94-93-92-91_90-88-87-86-85
- 113-112-111-110-108-107-106-105-104-103-101-102
- 116-115-114
- 97 إبراهيم -
- 62 أنطونيوس -
- 100..... إيرونيوس -
- 66-65-64-62-60-46- 40 البيتوس -
- 107-108..... بندكتوس السادس -
- 91 بنجامين ورفيلد -
- 86..... بونيفاس -
- 99-90..... بوسيديوس -
- 67- 35-34-30 -29-28-27 باتريكيوس -
- 102 توما الأكويني -
- 20..... تراجيانوس -

- 17-16.....ترتليانوس -
- 24.....دقلديانوس -
- 97.....دواود -
- 24.....دوناتوس -
- 102.....روني ديكرارت -
- 66-65-64-62-60-41-40-36.....رومانوس -
- 108جان جيتون -
- 103جان-لوك ماريون -
- 107.....جاريت ماثيوز -
- 86جنسريك -
- 106.....جيروم -
- 106.....غريغوريوس -
- 81-58- 43-42فاوستس -
- 56-50فالتينيان الثاني -
- 81-80-78-78- 7فاليريوس -
- 22فورتوناتوس -
- 103فريدريك نيتشه -
- 104فرويد سيقموند -
- 61-60فيكتورينوس -
- 105فيليب شاف -
- 23.....قسطنطين -
- 20.....كيريانوس -
- 20ماركوس أوريليوس -
- 20ماركوس أوريليوس سيفيروس أنطونينوس باسيانوس -
- 86.....ماكسيمينيوس -

- مونیکا..... 26-27-30 - 31-36-58-67-68-69-70-71-72-
- 75-74-73
- نبريدوس..... 50-60
- نافيجيوس..... 27
- نيرون..... 19
- نوح..... 97
- ساسليان..... 25
- سبتموس سيفيروس..... 20
- سماكوس..... 49-56
- سيمبليسيانوس..... 61
- شيشيرون..... 34-37-47
- تراجانوس..... 20
- مرقس الأفسسي..... 108
- هوميروس..... 34
- هيراكليوس..... 86
- وهادريانوس..... 20

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرهان

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل : نظرة حول أوضاع بلاد المغرب القديم "قبل أوغوسطين"

الأوضاع الاجتماعية9

الأوضاع الدينية.....16

الفصل الأول: التعريف بأوغسطين

المبحث الأول: النشأة.....26

المبحث الثاني: التكوين.....31

المبحث الثالث: أبرز محطات حياته.....44

الفصل الثاني: أوغسطين والمسيحية

المبحث الأول: تحوُّله الديني واعتناقه المسيحية.....55

المبحث الثاني: القديسة مونيكا وتأثيرها67

المبحث الثالث: دوره كأسقف في هيَّو76

الفصل الثالث: الأعمال والإنجازات

المبحث الأول: أبرز أعمال أوغسطين.....90

| | |
|----------|--|
| 100..... | المبحث الثاني: صدى أعماله..... |
| 105..... | المبحث الثالث: مكانته في المسيحية..... |
| 109..... | خلاصة..... |
| 111..... | خاتمة..... |
| 117..... | الملاحق..... |
| | الفهارس |
| 123..... | فهرس البيليوغرافية..... |
| 132..... | فهرس الأعلام..... |
| 136..... | فهرس المحتويات..... |

ملخص الدراسة

ملخص باللغة العربية

تتناول هذه المذكرة دراسة تحليلية وتاريخية لشخصية القديس أوغسطين، باعتباره إحدى أبرز الشخصيات الفكرية والدينية في تاريخ المسيحية، وواحدًا من المفكرين الذين تركوا أثرًا بالغًا في تشكيل الفكر اللاهوتي والفلسفي الغربي. انطلقت الدراسة من تتبع السياق الجغرافي والثقافي الذي نشأ فيه أوغسطين بشمال إفريقيا، وتوقفت عند محطات حياته الأساسية، منذ ولادته بمدينة طاغست سنة 354م، مرورًا بتكوينه العلمي في قرطاج، وتأثره بالمانوية، وصولًا إلى اعتناقه المسيحية في ميلانو سنة 387م، تحت تأثير شخصيات محورية مثل والدته مونيكا وأمبروسيوس أسقف ميلانو.

تم تقسيم المذكرة إلى ثلاثة فصول رئيسية: خُصص الأول لدراسة النشأة والتكوين، والثاني لتحوّله الديني ودوره كراعٍ وأسقف، والثالث لتحليل أعماله الفكرية وأثرها في التاريخ المسيحي وقد تم الاعتماد على منهج تاريخي تحليلي وسردى، شمل دراسة النصوص الأصلية لأوغسطين، وخاصة الاعترافات ومدينة الله، إلى جانب مراجعة الأدبيات التاريخية والفكرية ذات الصلة.

خلصت الدراسة إلى أن شخصية أوغسطين تمثل نقطة التقاء بين الفلسفة الكلاسيكية واللاهوت المسيحي، وأن فكره ظل مؤثرًا في العقيدة المسيحية والنقاشات اللاهوتية لقرون متتالية، مما يجعل دراسته ضرورة لفهم أحد أعمدة الفكر الديني في العالم الغربي .

This dissertation presents a historical and analytical study of the figure of Saint Augustine, one of the most influential thinkers and theologians in the history of Christianity. Augustine played a central role in shaping Western theological and philosophical thought. The study begins by examining the geographical and cultural context of his upbringing in North Africa and traces the key stages of his life—from his birth in Thagaste in 354 AD, through his education in Carthage, his early adherence to Manichaeism, and ultimately his conversion to Christianity in Milan in 387 AD under the influence of pivotal figures such as his mother Monica and Bishop Ambrose.

The dissertation is structured into three main chapters: the first explores Augustine's early life and intellectual formation; the second analyzes his religious transformation and ecclesiastical role as a bishop; and the third evaluates his major writings and their long-term impact on Christian thought. The study employs a combination of historical, analytical, and narrative methodologies, relying on primary texts—especially *Confessions* and *The City of God*—as well as a range of historical and theological scholarship.

The research concludes that Augustine represents a vital bridge between classical philosophy and Christian theology, and that his thought remains a foundational reference in Christian doctrine and theological debates across the centuries.